عين المدينة

نبنيـــها معاً

www.3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

في المدينة...

- سينما داعش للهواء الطلق ص4
- المهاجرات الغربيّات في داعش ص5
- تجارة ريف حلب الشرقيّ ص7
- آلام مؤيدي الأسد ص12+13
- العلويون.. تحولاتٌ في الوعي ص14
- تحليل رفعت الأسد! ص15
- هدم ضريح الشيخ النبهان ص16
- حلقات كشف الفساد في الربيعة ص19

عين المدينة | العدد (42) | 1 شباط 2015

مجلة نصف شهرية مستقلة

من مخيم نزوح | ريف دير الزور الشرقي - عدسة سقراط

ثم قَسَتْ قلوبُكم

وماذا بقي لصورة هذا الطفل النازح في المخيّم من معنىً بعد؟ بعد توارد آلاف الصور والفيديوهات المماثلة، أو التي أشدّ وطأةً بكثير؟!

لقد أبهتت السنوات الطويلة للثورة، فيما استهلكت، قدرتنا الإنسانية على التأثر والتعاطف، بعد أن شهدت هذه القدرة ذروتها في الشهور الأولى لانتفاضة السوريين، يوم أن كان مئات آلاف المحتجّين «إيد وحدة» بالقول والفعل.

لنعترف بهذا، فهو أمرٌ طبيعيٌّ من سمات البشر، ولا سيما بعد توازع الآلام ووقوع كلّ مدينةٍ أو منطقةٍ أو فردٍ تحت وطأة مصيبتهم الخاصّة. ولكن، إذا أردنا أن ينتهي هذا النفق المظلم بأسرع ما يمكن، فمن واجبنا جميعاً مجاهدة النفس، هنا أيضاً، وغسل القلب من أدران الاعتياد والأنانية والركون إلى الخلاص الفرديّ، قدر الإمكان ولا شك.

هل يشبه هذا الكلام الوعظ؟ طبعاً. ولكن هل لنا من خيارٍ سواه، في هذا المطهر الطويل الذي فُرض علينا، تكفيراً عن عقودٍ من الإخلاد إلى شحّ الأنفس وصَغارها؟ وإلا لماذا نستذكر مجزرة حماة اليوم، بعد ثلاثةٍ وثلاثين عاماً على وقوعها؟ لندلّل على عراقة النظام في الإجرام فقط، أم لنتذكّر أننا تركنا حماة تُذبح وحدها، وتُقصف وحدها، وتُهدم وحدها؛ حتى أصابتنا اليوم حصّتنا من الذبح والقصف والهدم!

وإذا كان النظام مستمرّاً في سلوك ما أسماه توماس فريدمان «قانون حماة»، في عهد الأب والابن، فلا سبيل لنا إلى الخلاص إلا بسلوك طريقٍ غير ذلك الذي سلكناه إزاء حماة.

موسكو طاولة الغزل.. والمقاومة ترمي أسلحتها

هيئة التحرير

كان المبرّر الوحيد لعقد طاولة، سُمّيت طاولة حوار، في موسكو، هو إصرار الحكومة الروسية على جمع شيءٍ يسمّي نفسه "معارضةً" بالنظام السوريّ، على أرض الدولة الأكثر تأييداً لهذا النظام. وهو ما قوبل بالرفض والمقاطعة من غالبية تيارات المعارضة السورية، بدءاً بالائتلاف الوطنيّ، وليس انتهاءً بالشخصيات المستقلة أو حتى ببعض أطراف المعارضة الأكثر قبولاً للحوار مع النظام. لتكون جلسة موسكو بمثابة غزلٍ بين فرقاء متفقين بالأصل، لأن أغلبهم من سكان دمشق النظام، "معارضةً" وموالاة، ولضعف التمثيل، من قبل مختلف الأطراف، في هذا الحوار الذي رفضت القيادة الروسية تسميته حتى بالمفاوضات، لأنها لا تعترف أصلاً بحقّ المعارضة السورية في التفاوض مع نظام ما زال يحكم جزءاً من الأرض السورية بالنار وبأجهزة المخابرات.

ولم يخرج اجتماع موسكو بأية نقاطٍ تستحقّ الوقوف عندها. بل انتقى مجموعةً من البنود الواردة في بياني جنيف1 وجنيف2 ليصوغها مرة أخرى، مستبعداً النقاط ذات الحساسية، والتي تناقش تشكيل هيئة حكم انتقاليٍّ، أو توصيف شكل الدولة والدستور الجديدين. كما كان مستقبل الأسد خارج النقاش تماماً، بتوجيهٍ روسيٍّ واضح قبل انعقاد المؤتمر، وبموافقةٍ من أطراف "المعارضة" المشاركة.

وبين تصريحات "المعارضين" المشاركين في موسكو، برزت مجد نيازي، الأقرب إلى النظام من بعض رجالاته، لتمتدح مبادرات وتصريحات وفده، وتؤكد على مرونته في طاولة الحوار، دون أيّ حديثٍ عن الوفد "المعارض" التي هي جزءٌ منه، حين قالت: "وفد الحكومة عبّر عن استعداده لبحث جملةٍ من المقترحات التي تقدّمت بها المعارضة".

المقاومة تنسحب من الحرب قبل إعلانها

لم يلتفت النظام السوريّ بعيداً عن موسكو، بل كان حضوره فيها مبرّراً لغضّ النظر عن كلّ ما يحصل على أرضه، حتى وإن كانت إسرائيل قد نفذّت فيها عمليةً أودت بقياديين في حزب الله والحرس الثوريّ الإيرانيّ في القنيطرة السورية، وكأنّ حزب الله ليس الميليشيا الأكثر دعماً للنظام، وكأن القنيطرة جزءٌ من الجنوب اللبنانيّ. إلا أن الحزب، ممثلاً بزعيمه حسن نصر الله، لم يستطع تجنب الردّ، الذي جاء بعد عشرة أيام، باستهداف موكبٍ عسكريٍّ إسرائيليٍّ في مزارع شبعا، أدّى إلى مقتل جنديين وجرح آخرين. وهو ردٌّ أتبعه نصر الله بالانسحاب من الحرب التي لم تبدأ بصورةٍ مباشرة، عندما صرّح، بعيد العملية، أنه لا يريد حرباً مع إسرائيل: "نحن جاهزون عسكرياً.. نحن لا نريد الحرب". لتبدو الجهوزية العسكرية التي نادى بها نصر الله، من معقله في ضاحية بيروت الجنوبية، جهوزيةً مخصّصةً للقتال في القلمون وريف حلب، لا في الجنوب اللبنانيّ الذي يقول محللون إنه صار طريقاً مفتوحاً أمام إسرائيل نحو بيروت، لأن مقاتلي الميليشيا التي كانت تدّعي حمايته يخوضون مهمةً حزبيةً خارج الحدود.

أمريكا تتجه إلى دعم الحكومة المؤقتة.. وتدريب قوات المعارضة

بدأ مدرّبون موفدون من وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) بالتوجّه إلى مواقع لم يتمّ تحديدها بالضبط في دول الجوار السوريّ، للمباشرة بتدريب ما أسمته الإدارة الأمريكية "قوّات معارضة سورية معتدلة" لمحاربة تنظيم "الدولة الإسلامية" والتنظيمات الجهادية ونظام الأسد. وجاء ذلك عقب تصريح البنتاغون عن تخصيص 400 مدرّب لدعم قوّات المعارضة، والبدء بإرسالهم إلى معسكراتٍ كانت كلٌّ من تركيا والأردن وقطر والسعودية قد عرضت استضافتها مسبقاً.

إلا أن التدريب الذي أقرّه البنتاغون لم يترافق مع استمرار الدعم بالسلاح لفصائل المعارضة في الشمال السوريّ. فقد سرّبت مصادر قريبةٌ من الإدارة الأمريكية أنباء عن قطع الدعم عن أربعة تشكيلاتٍ مقاتلة في حلب بسبب ما أسمته التحالف مع فصائل جهادية، أو عدم الجدوى من الدعم، فيما خفّضت دعم 12 فصيلاً آخر كانت قد دعمتهم لوجستياً في السابق. وجاء ذلك بالتوازي مع تقدّم جهة النصرة في حلب وإدلب، واندلاع اشتباكاتٍ بينها وبين فصائل معارضة، إضافةً إلى تغيّر في خريطة ولاءات وتوجّهات بعض الفصائل وبرامجها في الشمال.

درعا تحرّر المزيد من مناطقها.. وعين العرب في يد الأكراد

هيئة التحرير

تجدّد الجبهة الجنوبية، الأكثر استقراراً واتزاناً، عملياتها ضدّ النظام السوريّ. فما إن تحرز قوّات الثوار تقدّماً في درعا، حتى تبدأ برسم خطة التقدّم التالي. ليكون سقوط ألوية ومواقع النظام العسكرية في المحافظة الجنوبية سقوطاً متسلسلاً، وهو ما شهدته الأشهر الماضية. إذ لم يمرّ شهرٌ دون إحراز تقدّم جديدٍ، تُجبَر وسائل إعلام الأسد على الاعتراف به، ووفق طريقتها المعروفة في تفسير هزائمه العسكرية. غير أن الهزيمة الأخيرة دفعت النظام إلى توعّد جنوده بالمحاسبة، واتهامهم بالخذلان وتسليم المواقع للثوّار.

كان التقدّم الأهم خلال الأيام الماضية هو سيطرة الثوّار على اللواء 82، وهو أحد أكبر ألوية الدفاع الجويّ في سوريا، وأكثر المواقع التي يعتمد عليها النظام في المنطقة كمركز تجمع للقوّات، ومربض آليات، ومنطلق قصف. وجاءت السيطرة بعد معارك عنيفة خاضها الثوّار حول اللواء انتهت باقتحامه والسيطرة على مجمل الأسلحة في داخله، وأسر عددٍ من الجنود والضباط بينهم قائد عمليات هذا اللواء.

وبعد اللواء 82 تبدو جبهة الشيخ مسكين أهمّ الوجهات التي يسعى الثوّار إلى حسم المعارك فيها حالياً، لأنها من معاقل النظام الرئيسية في المحافظة. وتميل الكفّة في الشيخ مسكين للثوّار، بعد تمكّنهم من التقدّم داخل البلدة، وسيطرتهم على مراكز هامّةٍ فيها.

عين العرب في يد القوات الكردية

بعد أشهر من المعارك التي شهدتها مدينة عين العرب/ كوباني في محافظة حلب، بين مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية"/ داعش والمقاتلين الأكراد مع بعض تشكيلات الجيش الحرّ، وتحت غطاءٍ جويٍّ لطائرات التحالف التي كان لها الدور الأبرز في صمود المدينة، انسحب مقاتلو داعش إلى خارجها، وأعلن المقاتلون الأكراد أن النصر قد تحقق. ليكون وقع ذلك إيجابياً على أكراد سوريا وتركيا والعراق، وعلى قوّات الجيش السوريّ الحرّ، الذي أكّد على لسان عدّة قادةٍ منه مشاركته في "تحرير" المدينة.

أكراد كوباني يحتفلون بالنصر - وكالة AFP

وفي سياق ذي صلةٍ شهدت مدينة الحسكة مواجهاتٍ عنيفةً بين قوّات الأسد وفصائل المرتزقة المحليين، مما يسمّى بـ"الدفاع الوطنيّ"، من جهة، وبين قوّات حماية الشعب الكردية، من جهةٍ أخرى. وأدّت الاشتباكات إلى خسائر بشريةٍ في صفوف الجانبين، فيما تردّدت أنباءٌ عن مبادرات تهدئةٍ وتفاهماتٍ على تبادل للأسرى، بالرغم من إحكام المقاتلين الأكراد سيطرتهم على المدخل الشماليّ للمدينة وإزالة صور وأعلام الأسد.

ومقابل معركته في الحسكة، لم تبدُ أهداف النظام السوريّ هناك عسكريةً، ولا مشكلته فقط مع الفصائل المسلحة في المنطقة، إذ قام طيرانه باستهداف سوق للأغنام في منطقة الخنساء جنوب تل حميس، ما أدّى إلى مقتل أكثر من 75 مدنياً وإصابة 100 آخرين.

يومٌ من القصف الصاروخيّ على دمشق

استهدف جيش الإسلام، من معقله في الغوطة الشرقية، مراكز لقوّات الأسد في العاصمة دمشق بالقذائف الصاروخية، وفق ما أعلن زهران علوش، قائد هذا الجيش، والذي هدّد في وقتٍ سابقٍ بشنّ هجماتٍ انتقاميةٍ إثر تكثيف الغارات الجوّية لطائرات الأسد على بعض مدن الغوطة، مخلفةً عشرات الشهداء في كلّ مرّة.

ورغم اقتراب مواقع سقوط صواريخ جيش الإسلام من مراكز عسكريةٍ وأمنية، إلا أن ضحاياها كانوا بمعظمهم من المدنيين، فقد تأكد مقتل خمسةٍ وإصابة العشرات بجروح متفاوتة. ليتوقّف القصف بعد موجة انتقاداتٍ عنيفة أطلقتها مجموعاتٌ وهيئاتٌ وشخصياتٌ ثوريةٌ مختلفةٌ طالت تصرّف علوش، في حين واصلت طائرات الأسد وصواريخه ومدفعيته دكّ الأحياء السكنية في مدن وبلدات ريف دمشق.

جبل الأربعين معركةٌ إستراتيجيةٌ للثوّار

تزداد حدّة المواجهات بين قوّات النظام والفصائل المقاتلة للثوّار في منطقة جبل الأربعين بريف إدلب، حيث تحاول هذه الفصائل السيطرة على الجبل ومركزه أريحا، مما قد يخرج طريق حلب اللاذقية الدوليّ عن سيطرة النظام. وتعدّ السيطرة على جبل الأربعين -في حال تحققت- خسارةً هائلةً للأسد في الشمال السوريّ، بعد فقدانه أكبر معاقله في معسكري وادي الضيف والحامدية مؤخراً.

سينما "داعش" في الهواء الطلق

الجمهور: يُخَدَّر المحكوم بالإعدام قبل التنفيذ أو يكون مستسلماً للقدر

علي خطاب

في شارع التكايا وسط مدينة دير الزور، وأمام الحديقة التي تحوّلت إلى مقبرةٍ للشهداء الذين سقطوا بنيران قوّات الأسد، يستوقف المارّةَ منظرُ رجلٍ ملثمٍ يقرأ من ورقةٍ في يده حكماً بالإعدام على أحد المنشقين، متهماً إيّاه بالردّة. هذا جنديٌّ من داعش يقوم بشكليات الإعدام.

ليس هناك عددٌ ثابتٌ للفضوليين المتجمّعين لحضور الاحتفال الدامي، ولكنه يتجاوز المئات أحياناً، وأكثرهم من المراهقين. في هذه الأثناء تنتظر سيارة داعش في شارعٍ فرعيٍّ، ليترجّل منها بعض العناصر وهم يقتادون المحكوم عليه بالموت، معصوب العينين، هادئاً، مستسلماً لمصيره دون أية حركة رفضٍ أو ممانعة. يأمره أحدهم أن يجثو على ركبتيه، قبل أن تنطلق الرصاصة ليسقط المحكوم جثةً هامدةً تفور من رأسها ووجهها الدماء. وبأمر من قائد العملية، تبدأ كاميرات إعلاميّي داعش والإعلاميين المستقلين بالتقاط الصور، وسط الهتاف "باقية... باقية" الذي تطلقه حناجر الملثّمين ومن يستجيب لدعواتهم بـ"آجر يا شيخ" بالهتاف، فيما يتابع الجمهور ختام المشهد بتركيزٍ عالٍ.

يواصل مقاتلو داعش الهتاف ببقاء دولتهم وهم يحملون الجثة لتعليقها على صليبٍ معدنيٍّ، أو تثبيتها. فيما يسرع آخرون منهم لتنظيف الشارع من آثار الدم، قبل أن ينصرفوا وتعود الحياة إلى طبيعتها. وعلى الفور، في كلّ محلٍ من محلات البقالة والألبسة والمطاعم، وبين كلّ مجموعة أشخاص على الأرصفة، تتناقل أخبارٌ وتحليلاتٌ خاصّةٌ بحادثة الإعدام تلك، ويأخذ تفسير انصياع المحكوم وسلوكه الهادئ نصيباً بارزاً منها. يقول أحدهم: "مخدّر. أكيد مخدّر". فهو يظن، كما الكثيرين ممن شاهدوا حفلات الإعدام، أن داعش تحقن المحكومين بمواد مخدّرةٍ تجبناً لمقاومتهم وإثارة تعاطف الجمهور. أما من يتابع الإصدارات المرئية للتنظيم فيؤكّد أن جنود داعش يسوقون المحكومين أكثر من مرّةٍ، في بروفاتٍ متتاليةٍ تخفّف من جدّية الموقف لدى المحكوم، وحتى يهدأ. وحينها يطلب المخرج أن ينفّذ الحكمُ ليخرج الإصدار متقناً ونموذجياً في إبراز قوّة داعش وسطوتها. لكن "اللي يقرا حكم الإعدام بعيد بحيل عن المحكوم، عشان ما يسمعه"، يلاحظ محللٌ آخر يرى أن داعش تخبر المحكومين المقادين إلى المنصّة أنهم سيُجلدون فقط، فيما يقرأ مذيع داعش الحكم الحقيقيّ من مسافةٍ تحدّد بأن يسمعها الجمهور فقط. ويرى آخر أن استسلام الضحية هو تسليمٌ بقضاء الله وقدره، وإدراكٌ أن أيّ فعلٍ لن يجدي في الهروب من هذا المصير المحتّم.

تتعدّد التهم التي يُحكم على صاحبها بالموت عند داعش. ففي حالات الإعدام العشر التي نفذها التنظيم في مدينة دير الزور كانت "الردّة" و"سبّ الذات الإلهية" و"التجسّس لصالح النظام النصيري أو المخابرات الأجنبية" هي التهم التي ثبتتها محاكم داعش الخاصّة على الضحايا. فيما تبحث الشائعات عن تفاصيل لاحقةٍ حول دعاوى كيديةٍ وتصفية حساباتٍ شخصيةٍ وتسرّعٍ في تنفيذ الأحكام، كما حدث مع مجنّدٍ مُنشقٍّ من مدينة حمص، كان مقاتلاً في صفوف جبهة النصرة قبل خروجها من دير الزور. ويختلف مصير الجثث بحسب نوع الاتهام، بين دفنها في مكانٍ مجهولٍ أو تعليقها "لكي يعتبر الناس".

وفي أوقاتٍ أخرى، يشهد الجزء ذاته من شارع التكايا نشاطاً مختلفاً من نشاطات داعش، إذ يصبح ساحةً تُعرض فيها الإصدارات المرئية، كنوعٍ من سينما الهواء الطلق. ففي الليالي الخالية من القصف والمعارك، يغلق عناصر داعش الشارع بصفوف الكراسي، ويثبّتون شاشةً كبيرةً مع ما يلزمها من تجهيزات، وتطلق مكبّرات الصوت الضخمة أناشيد حماسية، ويقدّم عناصر داعش في هذه الأثناء العصير والحلوى للحضور. وعلى الشاشة قد تظهر خيولٌ تجري في الصحراء، أو تشتعل النيران في بناءٍ ضخم، أو تطلق دبابةٌ قذائفها. وقد يحدّق المحكومون بالإعدام في الكاميرا قبل أن ترفع يدٌ الرأس وتحزّ الأخرى الرقبة بسكين. ومشاهد أخرى للسطوة والهيبة أو للجنون.

ريف حلب - من إصدارات تنظيم داعش

لا تريد المهاجرات الغربيّات الحياة في "دولة الإسلام"
إنما الموت في سبيلها!

هادي الفيصل

يقدّر مقرّبون من تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش) عدد النسوة المهاجرات من دولٍ غربيةٍ إلى المدن والبلدات التي يسيطر عليها التنظيم في سوريا بحوالي 200، يتركّز العدد الأكبر منهنّ في مدن الطبقة والرقة ومنبج.

من فرنسا وبريطانيا وألمانيا، ومن دولٍ أوربيةٍ أخرى، تأتي شاباتٌ عشرينياتٌ، في أكثر الحالات، وبحسب ما تنبي ملامح الوجوه عن الأعمار، وما تتحدّث به بعضهنّ عن حياتهنّ السابقة، التي لا تبرز في الغالب مستويات تعليم أو مهارات عمل لافتة.

وسواءً أكانت المهاجرة من أبوين مسلمين أم لا، فإن نقطة التحوّل، بالدخول إلى الإسلام و/أو الالتزام به على النموذج المتطرّف، تبدأ بالتعرّف عرَضاً إلى شخص مؤثر، صديقةٍ هاديةٍ في معظم الحالات، أو رجلٍ سيصبح زوجاً في حالاتٍ نادرة. وبحسب المعلومات القليلة المتوافرة، فإن معظم المهاجرات متزوجاتٌ قبل وصولهنّ إلى الأراضي السورية، برفقة الزوج أو لحاقاً به، ووفق الطريق المعروف؛ تركيا ثم الشمال السوريّ الخاضع لسيطرة داعش. وبعد إقامةٍ قصيرةٍ في بيت ضيافةٍ في البلدات الحدودية، تُنقل المهاجرة إلى المدينة التي يوجد فيها الزوج.

وفي "أرض الخلافة" تتولى البيئة، المصمّمة شكلاً بما يلائم الخطاب العامّ لهذه "الدولة"، جذب المهاجرات إلى مزيدٍ من التطرّف ومزيدٍ من الرغبة في الموت/الشهادة، والانتقال مع الزوج والأطفال إلى "الجنة". فالموت هو هدف المهاجرة الغربية، كما المهاجر، وليس الحياة في ظلّ "دولة الإسلام".

الحياة اليوميّة لمهاجرة

بخلاف البعض، ممن يُمنحن مهماتٍ أمنيةً ورقابيةً على لباس عامة النساء في الشوارع والأسواق، ليست للمهاجرات أدوارٌ أو أعمالٌ هامة. فهنّ ملحقاتٌ بعالم الرجال، ولكن إلحاقاً يخالف الشائع في نموذج المرأة التقليديّ؛ ربّة المنزل التي تعتني بالأطفال وتنشغل طوال يومها بالطبخ والتنظيف والاستعداد لاستقبال الزوج. ويخالف نمط المهاجرة الغربيّة، كذلك، نموذج الناشطة التي لا تكفّ عن القول إن لديها ذاتاً أيضاً. بل تأخذ المهاجرة نموذجها الخاصّ؛ فهي تنتظر فرصتها للموت، مع تأدية الحدّ الأدنى من واجبات الحياة التي لا يُتوقّع أن تطول أصلاً لتتعلم الواحدة اللغة العربية، أو تحفظ القرآن، أو تتعرّف إلى النسوة الأخريات، أنصارياتٍ كنّ أو من عامّة النساء.

تتحدّث شهاداتٌ متواترةٌ لمقرّباتٍ من التنظيم، اطّلعن بشكلٍ جزئيٍّ على حياة المهاجرات، عن ميلٍ حادٍّ لديهنّ إلى العزلة، وعن حالة عدم استقرار طوعيةٍ تحياها كلٌّ منهنّ. ففي المنازل، المؤثثة على عجلٍ لتستقبل عائلات المهاجرين، لا يوجد الكثير مما يدلّ على حياةٍ طبيعيةٍ لزوجةٍ وزوجٍ وأطفال. ولا يستلزم النشاط المرافق لأداء صلاة الفجر، التي تحرص المهاجرات على تأديتها في وقتها، عنايتهنّ بالمنزل. ولا يتطلب الإعجاب بأطباق الطعام السورية، التي ترسلها الأنصاريات، سؤالاً عن كيفية إعدادها. ورغم الودّ والملاطفات الشكلية، لا تبدي المهاجرات رغبةً في معرفة المزيد عن المرأة السورية، التي "تضيق ذرعاً بالحجاب، وتحبّ اقتناء الذهب والتزيّن بالكحل وطلاء الأظافر وأحمر الشفاه، ولا تبالي أبداً بالجهاد"، بحسب النظرة السائدة لدى المهاجرات.

وفي البيت المخصّص لتأهيل القادمات الجدد، تترسّخ لدى المهاجرة قطيعةٌ مع حياتها ومجتمعها السابقين، فلا تبدي تعاطفاً من أيّ نوعٍ معهما، ولا لحظة ندم أو مراجعةٍ لما أقدمتْ عليه. ولا تجري المقارنة، في نفس المهاجرة، بين مكانَي إقامةٍ على الأرض؛ بين الرقة ولندن، أو بين باريس ومنبج؛ فحواضر "الخلافة" محطاتٌ نحو الآخرة/الجنة التي لا يشبهها شيءٌ ولا يجب لشيءٍ أن يؤخّر المضيّ إليها.

أم سيّاف

وعدت هذه المرأة الفرنسية زوجها أن تلحق به، بعد أن نفّذ عمليةً انتحاريةً/استشهاديةً في مدينة الطبقة. وخلال ثلاثة أشهر من إقامتها في هذه المدينة برزت أم سيّاف في أوساط المهاجرات، فهي امرأةٌ قياديةٌ "وهبت نفسها للجهاد"، وكان لها الدور الأكبر في التحاق فرنسياتٍ وأوربياتٍ أخرياتٍ بتنظيم داعش.

قبل أكثر من عشر سنواتٍ دخلت أم سيّاف الإسلام عن طريق صديقةٍ لها. وعن طريق زوج هذه الصديقة تعرّفت أم سيّاف إلى زوجها. وليس لديها، في المرّات النادرة التي تحدّثت فيها عن بلدها الأصليّ، الكثير من الشكاوى سوى من القانون الفرنسيّ الشهير بمنع المحجّبات من دخول الجامعة، وهو ما حرمها من متابعة دراستها، بحسب ما قالت. لكنها جعلت الأمر وراء ظهرها حين تفرّغت للدعوة، لسنواتٍ عدّة، قبل أن تهاجر إلى سوريا، منذ عام تقريباً، بصحبة زوجها الذي سبقها، في محيط مطار الطبقة، إلى الجنة. وقد وعدته أنها ستلحق به. وهذا ما حدث، بحسب ما تقول مهاجراتٌ أخريات.

مهاجرات في صفوف داعش

من يقتل عناصر "داعش" في الميادين؟

مالك موسى

"منكر يا شيخ!"؛ هي العبارة التي استخدمها تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" لمكافحة التدخين، قبل أن تتطوّر عقوبة المدخّنين، عقب إعلان الخلافة منذ شهور، إلى الجلد أو السجن أو حفر الخنادق على خطوط القتال. وهي العبارة ذاتها التي خُطّت على "كرتونةٍ" ألقيت على صدر جثة نائب أمير الحسبة في مدينة الميادين، بعد مقتله على يد مجهولين عمدوا إلى السخرية منه بدسّ سيجارةٍ بين شفتيه.

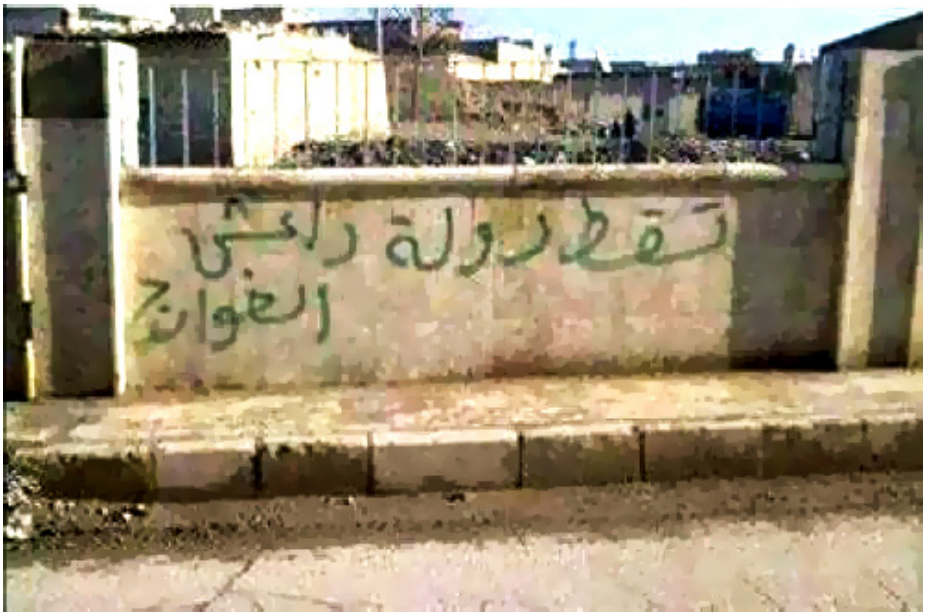

تزامنت هذه العملية مع عملياتٍ أخرى ضد تنظيم "الدولة الإسلامية" داعش، توزّعت في مناطق مختلفةٍ من ريف دير الزور الشرقيّ. فلا يمرّ أسبوعٌ إلا وتسجّل عمليةٌ أو اثنتان ضد حواجز وسياراتٍ وأفراد التنظيم. وما يزال الفاعل مجهولاً. مما دفع بقادة داعش المحليين إلى التهديد والوعيد، كما فعل مسؤولٌ عراقيٌّ بعد مقتل ثلاثة من عناصر التنظيم وتعليق رؤوسهم على مدخل السوق المقبي في مدينة الميادين، حين راح يصرخ في وجه أعدائه السرّيين بين المارّة من الأهالي: "إذا كنتو رجال تعالو وجه لوجه يا مرتدّين".

ولم تفلح التهديدات والاستعراضات الأمنية، وحملات الاعتقال والتخويف، التي يقوم بها عناصر داعش، في وضع حدٍّ للهجمات ضدّهم. إذ هوجم حاجزٌ للتنظيم قرب دوّار الطيبة على المدخل الشرقيّ للميادين، وهوجمت سيارة دوريةٍ في البادية القريبة من المدينة. ويعزو كثيرٌ من المهتمّين بهذه الهجمات عجز داعش أمامها إلى أنها تصدر من مجموعاتٍ لم تنتمِ سابقاً إلى الفصائل التي قاتلت داعش، أو من أشخاصٍ عاديين آثروا أن يتصدّوا لسيطرتها بهذه الطريقة، مما يصعّب المهمة على أمنييها في التفتيش عن الفاعلين بين عشرات آلاف الشبان.

ولا يمكن إيقاف المقاومة الشعبية المتنامية ضد داعش، كما يقول مقاتلٌ سابقٌ في الجيش الحرّ: "من طرَد بشار الأسد وجنوده من ريف دير الزور قادر على إيذاء داعش متى أراد". ورغم مخاوف السكان إثر كلّ عمليةٍ إلا أنهم لا يتورّعون عن إظهار تشفّيهم -أمام من يثقون به- بمقتل من "يظلمهم ويهينهم ويحقّرهم من جنود ومنتسبي داعش"، بحسب طالبٍ جامعيٍّ من أبناء المدينة يفكّر اليوم أن يهاجر، بعد أن أوصلته سيطرة داعش على المناطق المحرّرة إلى حافة اليأس، كما يقول.

وبسبب التكتم الشديد الذي تفرضه داعش حول الهجمات، لا يمكن تحديد أعداد القتلى والجرحى الذين يسقطون نتيجتها بدقة. ولكن بعض الناشطين يتناقلون أن أكثر من 40 عنصراً، بمراتب مختلفةٍ، قتلوا في منطقة الميادين وحدها، خلال الأشهر الستة الفائتة. كان آخرهم، بحسب ما ينقل بعض المتابعين، أبو طلحة التونسيّ، والي منطقة "الشولا" 40- كم جنوب دير الزور- مع اثنين من مرافقيه.

يطلق مؤيّدو داعش أخباراً عن إلقاء القبض على بعض المهاجمين، ويحرص آخرون منهم على ربط هذه العمليات بأجهزة مخابرات النظام. وحاولت داعش إرهاب السكان بشنّ حملات اعتقالٍ شبه عشوائيةٍ طالت العديد من الشبّان، وصلبت اثنين، بتهمة العمالة لنظام الأسد، في دوّار مشفى الطبّ الحديث. بينما أعدمت آخر في دوّار البكرة وسط المدينة، ووضعت لوحة كرتونيةٍ على صدره تفيد بأنه شكّل خليةً نائمةً وفجّر سيارةً مفخّخةً. وهي تهمةٌ يستبعدها من عرفوا أحمد التركي، هذا الشابّ المسالم بحسب وصف أحد معارفه، الذي يؤكّد أن القتيل لم ينتمِ لأيّ فصيلٍ منذ بداية الثورة، وأنه متفرغٌ لإعالة عائلته بالعمل في بقالية والده.

يقول أبو خالد، من سكان الميادين، إن داعش تتخبّط بعد الهجمات الأخيرة. ويفسر اعتقالها لأحد قياديها البارزين، المدعو همام اللافي، في إطار هذا التخبط. وكذلك الإجراءات الأمنية المشدّدة داخل المدينة وفي محيطها.

وعلى هامش ما يجري من أحداثٍ يطلّ الرجل البخّاخ من جديدٍ، ليستأنف نمطاً آخر من أنماط المقاومة، بعباراتٍ مثل "تسقط داعش" و"قادمون" وغيرها من الكتابات الحائطية التي تتوعّد التنظيم. وكما حدث في الأيام الأولى للثورة على نظام الأسد، يلاحق عناصر داعش هذه الكتابات ويقومون بطمسها بالدهان، مما يقلّص من هيبتهم التي يؤكّد الكثير من السكان أنها لم تعد كما كانت قبل أشهر.

تجّار ريف حلب الشرقيّ
بين مضايقات داعش وصعوبة ظروف العمل

ميلاد بهنو

رافقت سيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية" داعش، على الريف الشرقيّ والشماليّ الشرقيّ لمحافظة حلب، تغييراتٌ اقتصاديةٌ لافتة، بدأت بإغلاق معبر جرابلس على الحدود التركية، والذي كان متنفسّاً هاماً للمحافظة ولأجزاء أخرى من الأراضي السورية. لينتهي بذلك النشاط التجاريّ والصناعيّ والخدميّ الذي ارتبط بهذا المعبر، ولتبدأ مرحلةٌ جديدةٌ في ظلّ داعش التي جلبت نظامها الخاصّ في التجارة والأعمال الأخرى.

قبل داعش

ويتجاوز التأثير المباشر للمعبر مدينة جرابلس الملاصقة له، التي يتذكر سكانها أيام الازدهار التي عاشتها معه. إذ وفّرت حركة الشحن والتفريغ والتبادل مئات الوظائف ذات الدخل الماديّ الجيد، إضافةً إلى حركة سفر ونقل الركاب من وإلى الأراضي التركية. يقول عدنان، وهو صحفيٌّ من أبناء جرابلس: "كان لإغلاق المعبر الدور الاساسيّ في الركود الحاليّ في ريفي حلب الجنوبيّ والشرقيّ. إذ أغلقت رئة هذا الريف وتبدّدت فرص العمل المرتبطة بالحركة التجارية والخدمية وحركة نقل الركاب عبر هذا المعبر". وكانت المواد الغذائية المصنّعة والمنظفات والألبسة هي الأنواع الأكثر طلباً ضمن ما تحمله الشاحنات من معبر جرابلس، إضافةً إلى بعض المواد الأوّلية اللازمة لعمل المصانع الواقعة في ريف حلب الشرقيّ. وكان لانهيار الصناعة، بتوقف معامل المدينة الصناعية بحلب ومحيطها بسبب الحرب، دورٌ كبيرٌ في الاعتماد على جرابلس وغيرها من مدن الريف الشرقيّ مثل منبج والباب. إذ انتقلت العديد من المعامل وورش التصنيع إليها نتيجة الأمان النسبيّ بعيداً عن مواقع القتال. كما أسهم النفط الخام والمكرّر القادم من دير الزور في هذا الجانب، لتتوافر بذلك بيئةٌ ملائمةٌ نسبياً للعمل في ظروف الحرب التي تشهدها البلاد.

بعد داعش

لم تقتصر نتائج سيطرة داعش على المنطقة على إغلاق المعبر فحسب، بل حدثت تغييراتٌ هامةٌ في بنية الحياة الاقتصادية لها؛ فتوقفت أولاً حركة بيع وشراء العقارات، نتيجة إغلاق المحاكم الرسمية في منبج والباب وجرابلس -كانت بعض المحاكم قد استمرّت في العمل بعد خروج المنطقة عن سيطرة النظام- والتي كانت توثق عقود البيع. إذ حصرت داعش عمليات التوثيق بالمحاكم الإسلامية التي افتتحتها، وهي محاكم لا تحظى بثقة السكان في توثيق معاملاتهم.

من إصدارات تنظيم داعش

وفرض التنظيم قيوداً على جميع القطّاعات المهنيّة، تحت ذرائع مختلفة. فعمل على جباية الضرائب تحت بند الزكاة، فتوجّه إلى التجّار وأصحاب المهن المتوسّطة والصغيرة وفرض عليهم دفع نسبة 2،5 بالمئة من الأرباح السنوية التي تزيد على ما يساوي 100 غرام من الذهب. وكان للباعة الجوّالين وعلى الأرصفة وغيرهم من صغار الكسبة نصيبهم أيضاً، فأجبر الكثيرون منهم على العمل في الأسواق والأمكنة الخاصّة التي حدّدها التنظيم لهم، في خطوةٍ عشوائيةٍ تذكّر بسلوك بلديات نظام الأسد. ولا يقلّ الرسم الشهريّ المطلوب عن 3000 ليرةٍ سوريةٍ يدفعها الباعة الجوّالون وأصحاب "البسطات" في مدينة منبج التي خصّص التنظيم جزءاً من ساحتها العامّة كسوقٍ للخضار، وأجبر الباعة على العمل فيها. ويبرّر عناصر داعش تدخلاتهم السافرة تلك بحرصهم على جمال المدينة والحفاظ على النظام فيها. ويؤكّد كثيرٌ من أصحاب المحلات التجارية على ارتفاع الرسوم والضرائب التي يُجبرون على دفعها، ويرون أنها جائرةٌ بالنظر إلى الركود. إذ يدفع بعضهم أكثر من ثلث أرباحه كضرائب ورسوم لداعش، بحسب ما يقولون.

وفُرضت رسومٌ خاصّةٌ على المنازل والعقارات وخدمات الماء والكهرباء. وحُدّدت 300 ليرةٍ ضريبةً سنويةً يدفعها المواطن عن كلّ غرفةٍ من منزله.

وبالرغم من تراجع سوق العقارات بشكلٍ عامٍّ، ارتفعت أسعار مواد البناء. فبلغ سعر طنّ الإسمنت نحو 102 دولار، أمّا طنّ الحديد فوصل إلى 650 دولاراً، مما يجعل تكلفة بناء غرفةٍ واحدةٍ تفوق مبلغ 600 ألف ليرةٍ، بحسب ما يقول عامل بناءٍ من مدينة منبج.

النازحون السوريّون بحسب القوانين التركيّة الجديدة:

التعليم المجانيّ والرعاية الصحيّة أوّل الحقوق المؤكدة

عبود الصالح

أثار قانون الأجانب والحماية الدولية المؤقتة، الذي أقرّته الحكومة التركية في تشرين الأول من العام الماضي، الكثير من اللغط في أوساط السوريين المقيمين على الأراضي التركية، خصوصاً أنه استتبع بعدّة قراراتٍ وتعميماتٍ تخصّ تنظيم شؤون الإقامات. وفي حين كثرت التفسيرات لهذه القرارات وتضاربت؛ فمن المهمّ إيجاز أبرز ما جاء فيها بشكلٍ دقيقٍ وموثّق.

بطاقة التعريف

تعدّ (بطاقة التعريف والحماية الدولية) محور ما جاء به القانون الجديد؛ إذ إنها تحلّ محلّ وثيقة الإقامة بالنسبة إلى من لا يحملون جوازات سفر، فضلاً عن كونها اعترافاً بحقوق اللاجئين على الأراضي التركية. لأنها تشمل (تأمين الحماية المؤقتة لكل من يهجّر من بلاده ويلجأ إلى تركيا أو الحدود التركية لظروفٍ تهدّد حياته وتمنعه من العودة إلى بلاده بالإضافة إلى زوجته وأولاده، كما تعطي صاحبها حق البقاء في تركيا إلى أن يقرّر بنفسه العودة إلى بلده دون أيّ إكراه) وفق ما جاء في القانون. لذا فإن بطاقة التعريف تؤمّن لصاحبها "قانونياً" الحصول على حقوقٍ لم تكن مشرّعةً في السابق، كالتعليم المدرسيّ والجامعيّ المجانيّين، وتسجيل المواليد والزواج والطلاق والوفاة، والمساعدة المادية للمحتاجين، بالإضافة إلى الرعاية الصحية في المستشفيات والعيادات الحكومية التركية. إذ أصدرت هيئة الطوارىء والكوارث التركية (آفاد) قراراً، دخل حيّز التنفيذ بتاريخ 1-12 2015، عن الإجراءات المتبعة لحصول أصحاب بطاقة التعريف على الرعاية الصحية. وتضمّن (أن على الأجانب الذين تمّ إدراجهم ضمن جداول الحماية المؤقّتة في تركيا، من خلال حيازتهم البطاقة التعريفية، مراجعة مراكز الصّحة التي تُقدّم الخدمات الطّبيّة الأولية (مركز طبيب العائلة)، كخطوةٍ أولى من خطوات الاستفادة من الخدمات الطّبية. ووفقاً لموافقة الطّبيب المشرف على الحالة المرضية، يتمّ تحويل المرضى إلى المستشفيات العامة المتخصّصة في حال استدعى الأمر ذلك، لمتابعة المراحل العلاجية المُتقدّمة).

أما فيما يخصّ إذن العمل، فيقول الخبير في الشؤون التركية، غزوان المصريّ، في محاضرةٍ له: (إن قانون إذن العمل تمّ تقديمه إلى مجلس الوزراء، وما زال بانتظار موافقة وتوقيع رئاسة الوزراء التركية). وفي تعقيبٍ على أرقام بطاقات التعريف نقل المصريّ عن لسان مدير إدارة الهجرة في وزارة الداخلية التركية: (لن يكون هناك فرقٌ بين الرقم الذي يبدأ بـ 98 والرقم الذي يبدأ بـ 99. وإنما هو أمرٌ مؤقتٌ حتى يتمّ تسجيل جميع السوريين، ومن ثم يتمّ دمج الرقمين، ويمنح المستفيد بطاقةً بلاستيكية محميةً دائمةً له ولعائلته، تحمل صورته ومعلوماته الشخصية ومرتبطة بمركز واحد للمعلومات. ويعمّم الرقم الوطني على كافة دوائر الدولة للاستفادة من الخدمات المقدمة).

غرامات التأخير

قبل عام 2015 كان القانون التركيّ يعفي السوريين من دفع غرامات التأخير في الإقامة المسموح بها أثناء مغادرتهم عبر البوّابات البرّية إلى سوريا، ولا يعفيهم منها في حال المغادرة عبر المطارات أو الموانئ إلى دولٍ أخرى. لكن، مع بداية العام الجديد، صدرت التعليمات بتطبيق هذا القانون في المعابر إلى سورية أيضاً. ففي معبر باب السلامة تم تأخير تطبيق قانون غرامة التأخير إلى بداية الشهر الرابع من هذا العام، وتحسب مدة الـ 90 يوماً

سوريّون يعبرون إلى هاتاي في تركيا - وكالة الأناضول

اعتباراً من 1/1/2015، ما لم يحصل السوريّ على إقامة. وسيبدأ تطبيق القانون نفسه على معبر باب الهوى، كما قالت السلطات التركية. بينما تعفي الإقامة السياحية صاحبها من تسديد الغرامة. ويجدر القول هنا إنه لم يطرأ أيّ تغيير فيما يخصّ الإقامات السياحية، وما زال باستطاعة أصحاب الجوازات الصالحة استخراج إقامةٍ سياحيةٍ، لمدّة سنةٍ قابلةٍ للتمديد.

أما في ما يخصّ جوازات السفر منتهية الصلاحية، فلا تزال المعابر والمطارات التركية تستقبل السوريين الحاملين لهذه الجوازات، بينما لا يسمح لأصحاب الجوازات المزوّرة بالدخول أو بالخروج.

البصمة التركية

منذ إقرار القانون الجديد، وما سبقه من إعلانٍ عن اتفاقية تسهيل انتقال المواطنين الأتراك إلى دول الإتحاد الأوربيّ، التي يرجح أن تدخل حيز التنفيذ في العام 2017؛ أصاب الذعر الكثير من السوريين الراغبين في الهجرة إلى أوروبا، بعد الشائعات عن اعتراف دول اللجوء الأوربية بالبصمة التركية، والتي تعدّ إحدى إجراءات استخراج الإقامة وبطاقة التعريف. لكن، وحتى الآن، لم يتمّ الإعلان عن شيءٍ بهذا الخصوص من قبل الاتحاد الأوربيّ، الذي يفرض على مؤسّساته إجراء تعديلٍ على اتفاقية دبلن الموقّعة بين دول الاتحاد حصراً -والتي لا تشمل تركيا بالطبع- في حال التوصّل إلى هكذا اتفاق. وهذا ما أكده الجانب التركيّ على لسان مدير عام دائرة الهجرة أتيلا طوروس: (لا تربطنا معهم، من هذه الناحية، أية اتفاقيةٍ تحتم علينا تبادل معلومات البصمات معهم أو تسليمها لهم. ولا يوجد بنكٌ للمعلومات والبصمات مشتركٌ بيننا وبينهم كما يشاع. وإلى الآن لم توقّع تركيا مثل هذه الاتفاقية مع الاتحاد الأوربيّ، ليكون الجميع مرتاحين من هذه النقطة ومطمئنين لهذا الأمر). كما ذكر السيد المصريّ.

وأخيراً، يشتكي البعض من عدم تطبيق بعض القوانين والتعميمات الخاصّة بحاملي بطاقات التعريف، لكن يبدو أن دخول هذه القوانين إلى حيّز التنفيذ يحتاج إلى المزيد من الوقت، بالنظر إلى جدّتها وإلى العدد المرتفع للسوريين في الأراضي التركية.

نظرةٌ على أعمال السوريين في اسطنبول

فايز ابراهيم

يربط الكثيرون عادةً بين تأمين فرص العمل وبين الاستقرار. ولا شكّ أن شعور السوريين في اسطنبول بعدم الاستقرار كان له الأثر الكبير على نقص اندماجهم، وعدم تعلمهم اللغة التركية التي تشكّل وسيلةً أساسيةً للعمل وتحسين ظروفه. لكن، ومع مرور الوقت وتزايد عدد الوافدين وطول مدّة الإقامة، أصبح من الملاحظ نموّ النشاط العمليّ للسوريين، رغم هذه العوائق وارتفاع تكاليف المعيشة.

رؤوس الأموال وأصحاب الحرف

أشار تقريرٌ أصدره اتحاد الغرف والبورصات التركية إلى تأسيس السوريين لـ585 شركةً مسجّلةً خلال النصف الأوّل من العام الماضي فقط، بزيادةٍ كبيرةٍ عن عدد الشركات التي أسّست برأس مال سوريٍّ حتى 2013، والذي كان لا يتجاوز 238. وتعدّ قطاعات النسيج والأحذية والأغذية والخدمات أكثر المجالات استهدافاً من قبل المستثمرين السوريين. فعلى مستوى صناعات النسيج والأحذية انتقل الكثير من أصحاب المعامل والورشات الحلبيين إلى مدينة اسطنبول، لأنها تعدّ مركزاً حيوياً لهذه الصناعات وتجارتها. وافتتحت عشرات الورشات والمعامل الصغيرة والمتوسطة -معظمها غير مرخص- بالإضافة إلى ورشات الطباعة والتغليف الرديفة. ومن جهةٍ أخرى، باتت المطاعم السورية في اسطنبول (طربوش، ملك الشاورما، شام شريف، وغيرها) دليلاً إضافياً على التوجّه نحو الاستقرار في تركيا.

الباحثون عن فرص العمل

دفعت الحاجة معظم الشباب السوريّ إلى البحث عن أقرب فرصة عمل، مما اضطرّ الكثيرين إلى مهنٍ ليست لهم فيها سابق تجربةٍ أو معرفةٍ حتى. كما أسهم عائق اللغة في التوجّه إلى البحث عن العمل لدى سوريين آخرين، ولذلك يشتغل الكثير من طالبي العمل في ورشات النسيج والأحذية والتغليف، كما في المطاعم. أما البعض الآخر فقد وجد في مجالي نقل البضائع والبناء ما يناسبه، لاعتماده على المجهود الجسديّ. أما على مستوى الخدمات السياحية فيعمل البعض بتأمين الزبائن العرب أو السوريين لعيادات التجميل وزراعة الشعر. وكلّ ذلك برواتب تعدّ قليلةً بالنسبة إلى ساعات العمل. إذ يتراوح الدخل الشهريّ للعامل غير المحترف، الذي يقضي عشر ساعاتٍ يومياً في ورشة خياطة، بين 500 و700 ليرة. أما العمالة المحترفة فمردودها قد يبلغ أحياناً الـ1200 ليرة شهرياً، "بحسب شطارة المعلم". وعند العمل في الخدمات لا يوجد راتبٌ ثابتٌ في أغلب الأحوال، بل يتمّ الدفع على "الرأس"، فيحصل الوسيط على مبلغٍ يتراوح بين 200 و300 ليرةٍ عن كلّ زبون.

1580 عاملاً في قطّاع مياه الشرب بدير الزور

يدفع النظام رواتب 1200 منهم فيما يدفع تنظيم "الدولة الإسلامية" رواتب المتبقين

تقريرٌ خاصّ

يبلغ العدد الكليّ لمحطّات تصفية المياه في محافظة دير الزور 107 محطّات، بحجوم وغزاراتٍ إنتاجيةٍ متفاوتة. تقع 7 منها في الجزء الخاضع لسيطرة النظام من مدينة دير الزور، وثلاثٌ في الجزء المحرّر أو الخاضع لسيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية" من المدينة. فيما تتوزّع المئة محطةٍ المتبقية على قرى وبلدات ومدن الأرياف الشرقية والغربية والشمالية للمحافظة، والخاضعة لسيطرة التنظيم. وبذلك يكون العدد الكليّ لمحطّات التصفية الواقعة خارج سيطرة النظام 100 محطةً، خمسٌ منها خارج الخدمة بسبب الأضرار الهائلة التي لحقت بها نتيجة القصف المتكرّر من قبل قوّات الأسد (3 في المدينة ومحطتان في حطلة وحويجة المريعية)، فيما استمرّ عمل باقي المحطّات، وهي 96 محطةً، غذّت ما يقدّر بـ800 ألف نسمةٍ من السكان في ريف المحافظة بمياه الشرب بجودةٍ مقبولةٍ إلى حدٍّ كبيرٍ، بالمقارنة مع بيئات العمل شديدة الصعوبة.

❖❖❖

قبل الثورة، كان عدد العمال والموظفين المسجّلين في ملاك هذه المحطّات هو 1500. وبعد الثورة خضع هذا العدد لتغيّراتٍ هامةٍ نتيجة فصل حوالي 300 منهم، لأسبابٍ سياسيةٍ، من قبل مديرية المياه، استمرّ حوالي 200 منهم في عمله رغم الفصل والحرمان من الراتب الشهريّ. ويعمل اليوم في قطاع مياه الشرب 1580 عاملاً، يمكن تصنيفهم، بحسب الجهة التي تدفع أجورهم، إلى ما يلي:

1- 1200 عاملٍ أو موظفٍ حكوميٍّ ما زالوا على رأس عملهم ويقبضون رواتبهم الشهرية من مديرية المياه.

2- 200 عاملٍ أو موظفٍ حكوميٍّ مفصولٍ من المديرية واستمرّ في عمله. وحالياً، تدفع مكاتب خدمات المسلمين التابعة لتنظيم "الدولة الإسلامية" رواتبهم، بمقدار 100 دولارٍ أمريكيٍّ شهرياً كحدٍّ أدنى.

3- 150 عاملاً لم يكونوا في ملاك مديرية المياه، وظّفتهم مكاتب خدمات المسلمين للعمل في ورشات الصيانة التي أسّستها. وتدفع لهم راتباً شهرياً مقداره 100 دولارٍ أمريكيٍّ كحدٍّ أدنى.

4- 30 عاملاً يتبعون لمنظمة MEDICAL RELIEF FOR SYRIA المهتمّة بقطاع مياه الشرب. يقبض بعضهم رواتب شهريةً ثابتةً، ويحصل الآخرون على مكافآتٍ بحسب الأعمال والمشاريع المنفّذة.

الحالة الفنية لمحطّات وشبكات مياه الشرب

يتركّز الجزء الأكبر من الأضرار التي لحقت بمنشآت مياه الشرب في الجزء المحرّر من مدينة دير الزور وجوارها المباشر. فقد توقّف العمل في كلٍّ من محطّات حويجة صكر الأولى والثانية و"السياسية" في المدينة، وكذلك في محطّتي حطلة شمال المدينة وحويجة المريعة شرقها. وتصنّف الأضرار التي لحقت بهذه المحطات بأنها أضرارٌ كلية. وتقدّر نسبة الضرر التي لحقت بالأنابيب الرئيسية لشبكة المياه بأكثر من 70% في الجزء المحرّر من مدينة دير الزور، نتيجة المعارك المستمرّة فيها منذ تحريرها قبل عامين ونصف. فيما تعدّ شبكات المياه في المناطق الأخرى من المحافظة في حالةٍ فنيةٍ مقبولةٍ بشكلٍ عام.

وتلخّص أهم المشاكل الكهربائية والميكانيكية لمنشآت مياه الشرب العاملة بما يلي:

1- انقطاع وضعف التيار الكهربائيّ المغذّي للمحطات.

2- تعدّيات بعض السكان على خطوط الشبكة لأغراض الزراعة، مما يؤدّي إلى استجرار تيارٍ كهربائيٍّ بتوتراتٍ أعلى من التوترات الاسمية للمحرّكات، مما قد يتسبّب في احتراقها. كما تؤدّي اضطرابات التوتر إلى تعطّل الكونتكتورات أو القواطع.

3- أعطالٌ في ضواغط مادة هيبوكلوريت الصوديوم، المعروفة اختصاراً بالكلور.

اللوازم والاحتياجات الضرورية للمحطّات

احتياجات التشغيل والصيانة:

1- الوقود اللازم لتشغيل المولدات الكهربائية في المحطّات في حالات انقطاع التيار الكهربائيّ في الشبكة العامة. ويصعب تقدير كميات الوقود المطلوبة نظراً لتغيّر عدد ساعات انقطاع التيار.

2- مادة الكلور السائل أو هيبوكلوريت الصوديوم اللازمة لتنقية المياه. وتقدّر كميتها بحوالي 89 ألف ليتر شهرياً في الحدّ الأعلى و80 ألف ليتر في الحدّ الأدنى في حالات التقنين.

ويبيّن الجدول التالي احتياجات المحطّات وفق توزّعها الجغرافيّ:

الوحدة أو المركز	عدد المحطات التابعة	كمية الكلور السائل اللازمة شهرياً / باللتر
البوكمال	21	16150
الميادين	25	19600
البصيرة	7	7700
هجين	10	8500
الصور	3	3700
الكسرة الأولى والثانية	11	11100
الطريف	5	6000
موحسن	5	3400
البوليل	3	2550
مرّاط	4	2550
خشام	2	1700

وتتركّز لوازم أعمال صيانة المحطات في محرّكات الضخّ باستطاعاتٍ مختلفة، ولوحات التحكم، والمحوّلات الزمنية، والبطاريات، والفلاتر، ومعدّاتٍ صناعيةٍ بأنواعٍ متعدّدة، وغير ذلك من اللوازم التي تختلف من محطةٍ إلى أخرى.

❖❖❖

نظرةٌ إلى الأداء:

قبل سيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية" كان تشغيل محطّات تصفية المياه في أوّل اهتمامات المجالس المحلية الناشئة اعتباراً من خريف العام 2012. إلا أن ضعف الإمكانات المادية لمعظم هذه المجالس قصَرَ دورها على تأمين الوقود اللازم لتشغيل المولدات الكهربائية في المحطات، وبشكلٍ متقطّعٍ في حالاتٍ كثيرة. وكذلك توزيع مكافآتٍ ماليةٍ -متقطّعةٍ أيضاً- لبعض العمال المفصولين. ويصعب تحديد دور الحكومة المؤقتة، إثر تشكيلها قبل عام، نظراً لغياب الشفافية والعلنية في عمل هذه الحكومة، وتنازع الاختصاص، في مرّاتٍ كثيرةٍ، مع المجالس المحلية التي تتبع لها اسمياً. إلا أنه يمكن القول، وبناءً على واقع محطّات المياه وقتذاك، إنه لم يكن للحكومة المؤقتة أيّ دورٍ ذي أهميةٍ في قضية تأمين مياه الشرب لسكان المناطق المحرّرة من دير الزور. إذ فشلت، على سبيل المثال، مناشدات أعضاء المجلس المحلّي للمدينة -آنذاك- لصيانة واحدةٍ من محطّات مياه الشرب التي كان يمكن أن تغذّي الجزء المحرّر من المدينة، مما حرم أكثر من خمسين ألفاً من القاطنين في هذا الجزء من المياه النظيفة على مدار أكثر من عامين كاملين. ولم تقدّم الحكومة أية مكافآتٍ ماليةٍ أو رواتب لعمال المحطّات المفصولين، رغم استمرار معظمهم في أداء عمله. وبالنظر إلى المبالغ التي تبرزها الكشوفات التقديرية اللازمة للصيانة، كان يمكن لهذه الحكومة، لو امتلكت الإرادة والاهتمام، أن تلعب دوراً رئيسياً في رعاية هذا القطاع الحيويّ، يحقق لها شيئاً من المصداقية التي كانت وما زالت تفتقدها.

وبعد سيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية" على المحافظة، في حزيران من العام الفائت، عمل على تأسيس ما أسماه بمكاتب خدمات المسلمين، المعنيّة بمحطات المياه. واقتصر دور هذه المكاتب على تأمين الوقود اللازم لمولدات الكهرباء بشكلٍ منتظم، وتأمين بعض الاحتياجات الكهربائية والميكانيكية للمحطّات، وكذلك تأسيس ورشات صيانةٍ خاصّةٍ بعددٍ عمالٍ مبيّنٍ كما سبق في هذا التقرير، وكذلك دفع رواتبَ للعمال المفصولين. يضاف إلى ذلك دور هذه المكاتب في مراقبة دوام العمال، وتطبيق عقوباتٍ صارمةٍ بحقّ المتسيّبين أو المستهترين منهم.

تقترح الكشوفات التقديرية لمشاريع الصيانة الجزئية لمحطات الريف مبلغ 3500 دولارٍ أمريكيٍّ، كحدٍّ متوسّطٍ، في كلّ محطة. فيكون الرقم الكليّ المطلوب لصيانة 96 محطةً في ريف دير الزور هو 336 ألف دولار. وهو رقمٌ صغيرٌ بالنظر إلى أهمية قطاع المياه، بعد ثلاث سنواتٍ تقريباً من الحرب. وتقدّر الكشوفات المبالغ اللازمة لأعمال الصيانة الكلية للمحطات الخمس الخارجة عن الخدمة بـ500 ألف دولار، بمتوسط 100 ألفٍ لكلٍّ منها.

والجدير بالذكر أن التنظيم لم يوقف مشاريع أو أعمال منظمتي الهلال الأحمر وMEDICAL RELIEF الناشطتين إلى حدٍّ كبيرٍ في قطاع المياه بدير الزور، واللتين كان لهما الدور الأكبر في رعاية المحطات وصيانتها. إذ تقوم منظمة الهلال الأحمر، ومنذ حزيران 2012، بتأمين مادة الكلور السائل لجميع محطّات التصفية في المحافظة، دون أيّ انقطاع. كما نفذت مشاريع صيانةٍ جزئيةٍ لمحطّات تصفيةٍ في مدنٍ عدّة، مثل البوكمال والميادين وموحسن. أما الميديكال ريليف فنفّذت بدورها أعمال صيانةٍ كليةٍ لواحدةٍ من محطّتي حويجة صكر الخارجتين عن الخدمة، والتي يتوقّع تشغيلها في وقتٍ قريب. إضافةً إلى تنفيذ مشاريع صيانةٍ جزئيةٍ لمحطّات تصفيةٍ في كلٍّ من البوكمال والميادين وتشرين والعشارة والطيبة، معتمدةً في ذلك على ورشاتها الخاصّة المكوّنة من عمالٍ سابقين في شركات القطاع الخاصّ.

أضرار في شبكة المياه بسبب القصف - دير الزور

من عوالم آلام مؤيّدي النظام

ناصر عنتابي

على عادة الشماتة بقتلى النظام وجرحاه؛ ربما تثير صورة أمّ مجد رزوق -أحد قتلى الجيش الأسديّ- وهي تقف بجانب "مجسّم" لابنها القتيل، في ليلة عرس ابنتها، الكثير من السخرية لدى بعضنا. هذا المجسّم الكرتونيّ الذي أهداها إيّاه الصهر بمناسبة زواجه، للإيحاء بحضور الابن الذي كان قد أمضى خمسة أشهر في خدمة النظام، ليسقط بعدها في معركة تحرير مدرسة المشاة الشهيرة بحلب، في أواخر عام 2012، ولتبقى جثته مجهولة المصير.

لكن، وبما أنّ "الدعس" قد "تمّ"، والتشفّي الحاقد يستلزم اكتمالُه بالضرورة قهرَ عدوٍ قويٍّ بكامل عنجهيته؛ فبهذا المعنى، لا تحقق صورة الأم الضعيفة ومجسّمها البائس ما يصبو إليه غلُّ الشامت، الذي قد يشعر براحة أكبر أمام فيديو أسر طيار بزيّه العسكري بعد أن ألقى براميله... من هنا يتسلل شيءٌ من تضارب المشاعر يشبه ما تحكيه الصورة عن الطرف الآخر. إذ إنّ مشهد استحضار المأساة هذا، "مجسّمةً"، إلى ليلة الفرح يعكس خلفه عالماً من الاضطراب والتناقض بين الحزن والألم، من جهة، وبين السعادة والاحتفال، من جهة أخرى، لدى العائلة المؤيّدة المفجوعة، لا يبرّره السلوك التلقائيّ للصهر الراغب في التودّد إلى عائلة زوجته من خلال عربون الموت وحده؛ بل يتعدّاه إلى احتفاءٍ بالهزيمة التي يمثلها مجسّم الابن، وتجسيدها "حيةً" أمام الملأ. هذا ما يدلّ عليه ردُّ فعل الأمّ، التي لم تتجاهل الذكرى الحزينة كما تفرض المشاعر البشرية السويّة على صاحبها أن يفعل، بل استبدلت بذلك نقيضه، بعد أن قبلت الهدية المفزعة تلك والتقطت إلى جانبها الصور، لتنقلها معها لاحقاً حيثما حلّت، على منصّات الاحتفاء التي تقام لتكريم ابنها وقتلى النظام الآخرين، مصرحةً ذات مرّةٍ: "السعادة الحقيقية التي كنت أتمناها... تجسّدت بوجود هذا المجسم"!

ومثلما فعلت في نكرانها لألمها؛ لم تستكن كفى كنعان -وهو اسم الأم- إلى الاستسلام بعد مقتل ابنها، فحرصت على الظهور في وسائل الإعلام المحلية، لأنها نشطت الآن في مجال إعانة جرحى النظام في اللاذقية وريفها، مرتديةً زيّ حدادها الأسود الذي طبع عليه "نسر" الجيش السوريّ، لتتحدث عن تأييدها للأسد ولجيشه، مكرّرةً شعارات فداء الوطن والقائد الذي تذهب الدماء رخيصةً في سبيله، كما عوّدنا ذوو قتلى وجرحى النظام على القول. وإذ تمثّل المرأة وعائلتها نموذجاً لـ"حاضنة النظام الاجتماعية" المستنزفة والمتورّطة في الرهان على الأسد؛ فإنّ الاستنتاج البديهيّ يحيل إلى أنّ

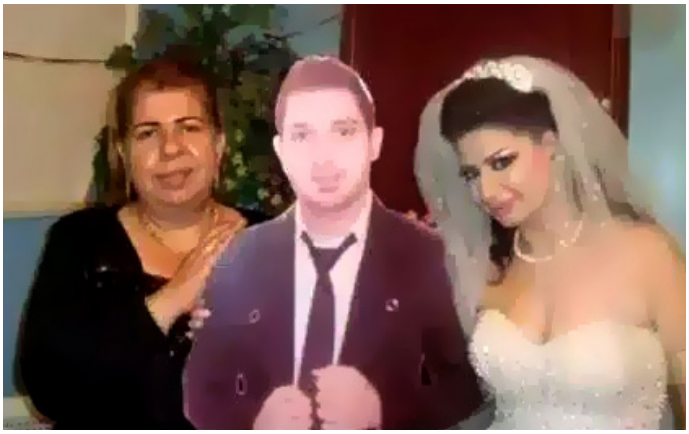

ذاك الاضطراب الذي لحق بها ليس إلا مثالاً عن حالة أعمّ من فقدان الطمأنينة ضربت المجتمع الموالي، تعبّر عنه قصصٌ سوداويةٌ للشباب الذين ذهبوا بلا رجعة، أو عادوا بلا أطراف، أو ليروي المعافى منهم ذكرياته عن لحظات الرعب التي عاشها أثناء تأديته لمهامه "الوطنية"، دون أملٍ واقعيٍّ بنهاية الكابوس الذي حلّ بهم.

وجهٌ آخر لإعلام الجرحى

في الوقت الذي يحرص فيه النظام ووسائل إعلامه على عدم الكشف عن إحصائياتٍ دقيقة تقود إلى معرفة أعداد القتلى والجرحى في صفوفه، فيما يعوّض "التكريم" المتفاوت للجرحى ولأسر القتلى جزءاً من هذا الفراغ الإعلاميّ؛ تنشر كفى كنعان في جريدة "الوحدة" المحلية في اللاذقية، بشكلٍ أسبوعيٍّ، شهادات جرحى الجيش الذين تلتقيهم. وتتوجّه تلك الشهادات، على وجه الخصوص، إلى جمهور المتضرّرين من حرب النظام وتبعاتها، لتصف تفاصيل الهلع ودموية المعارك، من جهة، ولتبوح، بشكلٍ أو بآخر، ودون قصدٍ، بالشعور المبطّن للمدافعين عن النظام تجاه ما يحدث، من جهة أخرى.

من عرس جماعي لجنود الاسد

تروي القصة، التي جاءت على لسان ريمي ياسين الشاطر، حجم إصابته: "... تقدّمنا مسافة 1 كم بعد مفرق خربة غزالة. ولكن انفجرت عبوة ناسفة في طريقنا. طرت في الهواء وأحسست بدم في عيوني وطنين في أذني، وأثناءها تهيأ لي صورة بناتي وأهلي. فقدت الوعي. وأدت إصابتي إلى فقدان النظر في عينيّ والسمع في أذنيّ، إضافة إلى بقايا شظايا في الجمجمة والوجه وتفتيت في كعب الرجل...".

ويسرد كنان سميع كنعان، أحد جرحى الحرس الجمهوريّ في دير الزور، آخر لحظات خدمته العسكرية في حي الجبيلة: "... لتأتي رصاصة غدر بيدي. مسكت سلاحي باليد الأخرى وعدت لإطلاق الرصاص، لأصاب بطلقة قنّاص حارقة في وجهي، فبدأت الدماء تسيل لتغطي جسمي كله. بعدها فقدت الوعي. وأدّت إصابتي إلى شلل في عصب الوجه وصعوبة الحركة في اليد اليمنى والرجل اليمنى ونقص السمع...".

يعزو الجرحى دائماً أسباب هزائمهم إلى أوصاف العدوّ، التي تأتي في تصوّراتٍ لا تخلو من خيال. يقول علي محمود كنعان، الذي تلقى طلقاً نارياً في صدره: "هاجمونا بأعدادٍ كثيفة... وكالجراد هجموا للدخول من الأبواب والنوافذ...". أو ما جاء على ذكره أحمد مرتكوش، أحد جنود الحرس الجمهوريّ في ريف دمشق: "...وكعادتهم استخدموا أسلوب الغدر والخيانة، بالتفاف مجموعة مسلحة من الخلف. فأصبت برصاصة غدر في الظهر، وطلقة أخرى توغلت في رجلي...". إذاً، تبدو صفتا الغدر والأعداد الكثيفة للعدوّ -كتائب الثورة- المبرّرات الوحيدة لتفوّقه وللهزيمة الموضعية للأسديين. دون الإشارة، ولو بكلمة، إلى سوء إدارة القيادات العسكرية أو السياسية التي تزجّ بهم في المحرقة. وهذا يعني ما يعنيه أيضاً، من اعترافٍ ضمنيٍّ بكثرة أعداد هذا العدوّ في مختلف المناطق التي يقاتل جيش النظام فيها. وبالإضافة إلى ذلك، تكشف هذه المقابلات عن حجم تورّط مجتمع ريف اللاذقية في المعركة، إذ تأتي بمجملها على لسان الجرحى المتحدّرين من قرى هذا الريف، الذين تبلغ أعمار معظمهم أوائل العشرينات، باستثناء الضباط.

تقول أمّ باسل هيثم صقور، ذي العشرين عاماً، الذي كان يخدم في الفرقة الرابعة في ريف دمشق: "ولدي وسام شرفٍ أقدّمه للوطن. وأخوه الثاني يخدم في صفوف حماة الديار. أستمد منهم الأمل والثقة بالنصر. حمى الله بلدنا وقائدنا المفدى بشار حافظ الأسد". وعلى غرار أبيهم؛ يخدم ثلاثةٌ من إخوة هلال عماد أحمد في صفوف الجيش، أصيب أحدهم مرّتين في حماة ودمشق. فيما سقط أخوا الجريح وائل محمود سلطان قتلى أثناء خدمتهم في قوّات الأسد خلال الثورة. لتقول أمهم: "... حمى الله سورية وقائدها. والنصر المؤزر بإذن الله".

إذاً، هكذا تمسي شعارات البطولة والشهادة وقائد الوطن لازمةً وحيدةً وملجأً أخيراً يسكّن الجراح النفسية والجسدية التي يعاني منها المقاتلون المؤيّدون، دون أن يعنى أحدٌ بما يدّعونه من جبروتٍ إلا الساخرين منا، أو الذين يصدّقون منهم ما يرويه النظام عن القوّة الساحقة لجيشه، وانتصاراته في تفكيك العبوات وملاحقة فلول الإرهابيين المتدفقين دوماً، فضلاً عن الوعد والحلم بعودة "الأمن والأمان".

وبنشرها لهذه الروايات الفجّة، تلعب كفى كنعان -أم مجد- مع الرعب والفزع اللذين اختبرتهما بنفسها، واللذين تشاهدهما يومياً في وجوه الجرحى الكثر الذين تلتقيهم لتروي قصصهم كما هي على العلن، عسى أن يحقّق ذلك شيئاً من الأمان المفقود، ويؤنس وحشة الخوف من المستقبل الذي بات جمهور المؤيدين يدرك أنه لن يعود إلى الوراء كما يعِد النظام.

من أجواء الخوف والاضطراب هذه تُصنَع المجسّمات. ومنها أيضاً تُشيَّد النصب التذكارية للبوط العسكريّ في الشوارع والساحات، وترتدي العرائس بدلاتٍ مبرقعةً، في صورةٍ أخرى للضعف والهشاشة البشريتين... وفقدان الأمل.

العلويون... حين يتحوّل الوعي إلى غير بشار الأسد

معاوية حماد

منذ أن أُطلق الشعار الدامي "الأسد أو نحرق البلد"، قبل أربع سنواتٍ تقريباً من اليوم، ومنذ أن طُبّق بالفعل، لم يتذكر الكثير من أبناء الطائفة العلوية -مع الأسف- أنهم جزءٌ من هذا البلد، وأنّ لهم، بعيداً عن فوّهات النار، حياةً عاديةً كأيّ سوريٍّ، لا بدّ أن لظى الحريق ستمتدّ إليها. ومنذ أن أطلق الشعار كذلك، صُنّف مجرّد المتظاهر عدوّاً لا رحمة في اجتثاثه، أو مخدوعاً لا يصحو إلا تحت سياط التعذيب، في ألطف الأحوال. وعلى الطرف الآخر، وكما هو معلومٌ، لم تكن لدى أيٍّ من أجسام المعارضة، ورغم شكليات خطابها المتجاوز للطائفية، محاولةٌ جديةٌ حقيقيةٌ لبناء جسور ثقةٍ مع المجتمع المؤيد للنظام، في انقيادٍ غير مسؤولٍ لشعارات المتشدّدين في هذه المعارضة. وعلى الأرض، كان آكل قلوب الجنديّ الميت -ضحيةً لآلامه السابقة، وفق تبرير البعض- وغير ذلك من تصرّفات بعض الثوار الطائشة، ما زوّد إعلام الأسد، بجزأيه الرسميّ والرديف، بكلّ ما يلزم لتغذية المشاعر الطائفية لجمهوره، قبل أن تتطوّع داعش لتؤدّي هذا الدور بمنتهى النجاح. ولتصدق دعاوى النظام أمام مؤيديه بأن حربه هي حرب وجود، ولن يتحقق النصر فيها إلا بمزيدٍ من التضحية.

إلا أن الإمكانات الواقعية للنظام كشفت عجزه عن تحقيق هذا النصر، وعن حماية جنوده المنتشرين في القطعات المقاتلة، وعن وقف التردّي المتسارع في الظروف الاقتصادية والخدمية والأمنية كذلك. وقد أدّى هذا العجز إلى تذمّرٍ متنامٍ لدى العلويين، مما يشير إلى دلالاتٍ هامةٍ عنّ تحوّلٍ في وعي الطائفة العام، الذي أدرك أخيراً أن مأزق الثورة أو "الأزمة" لا فكاك منه، وأن المراهنة على النظام لم تكن رابحة. فيوماً وراء يوم، وخلال سنواتٍ من الحرب، لم تبق لأفضال آل الأسد بقية، وانقلب نعيم الانتماء إليهم، كنسبٍ معنويٍّ، إلى جحيم. ويتضاءل الأمل في أن يرجع الزمن إلى ما كان؛ فلم تعد سلالة الأسد، التي حوّلت الطائفة والنظام والدولة إلى أجزاء تابعةٍ لها، قادرةً أن تؤدّي دورها "الرساليّ" بوصفها الضمانة الوجودية للعلويين في وطنٍ يشكل "السنّة أكثرية فيه". بل إنها تعجز، حتى أثناء دفاع العلويين المستميت من أجلها، عن تحسين شروط هذا الدفاع. "فلماذا تنقطع الكهرباء؟ ولماذا لا تقضي الدولة على الغلاء وتقطع أيدي لصوص المحروقات؟"، تتساءل الأم ويتساءل الأب اللذان أرسلا أولادهما إلى جبهات القتال. ويأخذ البوح الغاضب، بعد جنازة كلّ قتيلٍ، شكلاً من أشكال الاعتراض المنفعل على قيم الموت في سبيل القائد والفداء له، وخاصّةً حين يعجز هذا القائد عن العناية، أو حتى عن تكريم هذا الفداء بما يليق. ليكون السؤال عن جدوى مقتل أبناء الساحل في حلب ودير الزور ودرعا سؤالاً شائعاً، دون أن يكون الرد الإنشائيّ "دفاعاً عن سوريا الأسد" جواباً "بطولياً" كما كان. فليست كلّ سوريا الآن للأسد، وليست له وحده حتى في الأجزاء التي تسيطر عليها قوّاته. ففي كلٍّ منها شركاء لا يتورّعون، في سلوكهم النفعيّ المتهوّر، عن خرق مصلحة المجموع في لقمة عيشه وأمنه وكرامته. ليؤدّي كلّ هذا إلى إضعاف الثقة بهذا الكيان المعنويّ والماديّ الكبير (الأسد؛ النظام؛ الدولة) لحساب ثقةٍ/ثقاتٍ أخرى أقلّ شأناً وقدرةً على الصمود. فمن أسد سوريا، منطلق القوّة والعراقة والدوام، تحوّل الوعي إلى نمر الضيعة -سهيل حسن وأمثاله- الذي لن يتوانى عن الانعطاف بدراجته النارية -كما ظهر الحسن بالفعل في أحد المشاهد- نحو الضيعة للتمترس والذود عن الأهل والعرض وأبناء العمومة، في اللحظة المصيرية القادمة لا محالة وفق الإيمان المتشكّل حديثاً في أنفس مؤيدي الأسد من العلويين. ولكن، إلى أن تحين تلك اللحظة، لن يغيّر هذا الإيمان من سلوكهم المنقاد إلى الحرب، في استسلامٍ يائسٍ للأقدار.

تسأل سيدةٌ علويةٌ طيبة القلب ابنها الضابط، العائد في إجازةٍ، عن تفسيرٍ لمقتل أطفالٍ ونساء تحت القذائف والبراميل في المدن والقرى الثائرة، فيجيبها أن ذلك يحدث بسبب تضليل الجواسيس المحليين من أبناء هذه القرى أنفسهم، فهم من يزوّد غرف العمليات بإحداثيات الأهداف. لا تقتنع الأم كثيراً بهذا التفسير. وتوصي ابنها أن يتجنّب قتل أحدٍ، أيّ أحد. وتلعن في سرّها، للمرّة الأولى، بشار ثم حافظ الأسد.

«تحليل رفعت الأسد»؟!

محمد عثمان

مؤلف هذا الكتاب هو «الدكتور» صالح عضيمة، الذي كان أستاذاً في جامعة دمشق (ولو لمدّة عامين). وعلى مدى 700 صفحةٍ تقريباً يفيض في شرح العنوان الفرعيّ لكتابه: «مقولة في حكمة السياسة وسياسة الحكمة»! صدر الكتاب عن مؤسسة الاثني عشر، باريس، 1992، رغم أنه أنجز عام 1991. ولكن نشره تأخر، عاماً كاملاً، بسبب «نذالة الأنذال».

يبدأ المؤلف كتابه بتقرير حقيقة أن السوريين لا يحبّون حافظ الأسد، بل يكرهونه أشدّ الكره. ولا يريدون أن يروه سلطاناً عليهم. وهو، وإن قطع ألسنتهم بأنواع التسلّط والخوف والمراقبة، فإن وجوههم تتكلم بالتقطيب، وحركاتهم تنطق بألف لونٍ من التعبير عن الرفض والنفور. وجميعهم يشيرون إلى المجهول عند الحديث عن منبع شقائهم، وهو عندهم معلوم. وإذا سنحت لأحدهم الفرصة فإنه يصرّح باسمه، ويشعر أنه بذلك قد أظهر بطولةً نادرة.

وإذا قال البعض إن سبب هذا الكره هو أن حافظ الأسد «من هذه الفئة وليس من تلك الفئة»، فإن المؤلف يرى أنه «قد يكون لذلك شيءٌ من ظلٍّ أو شيءٌ من أثر»، ولكن السبب الرئيس هو الاستفحال الشديد لعناصر الفساد، والتمييز البارز الفاقع للسلطة والحاشية، والبطر والغرور!

وإذا كان الشعب معذوراً، فالعجب عندما ترى هذه الحاشية نفسها ترمي الأسد بالذم والقدح، ويتهمونه بما يتردّد الشعب المسكين أن يتهمه بمثله. ولا ينقل المؤلف هذا عن فلانٍ وعلان، بل عما سمعه منهم في مجالسهم.

بل إنه يفيدنا، من موقع اطّلاعه طبعاً، أن تفرّد حافظ الأسد بأزمّة الأمور هو من «كبريات المسائل» التي عجّلت في تأزّم «الفتنة» بين الأخوين حافظ ورفعت. فإذا كانت الديكتاتورية من أبرز خصال الأوّل، كما هو معروف، فإن الثاني يرفض إطاعة الأمر ما لم يكن مقتنعاً به، وما أكثر ما تنازل لأخيه، لئلا «يُدقّ بينهم عطر مِنْشَم»! وما كان أسهل عليه أن ينتزع السلطة من أخيه الأكبر، «في ليلةٍ داجيةٍ شاتية». ولكنه آثر الاستجابة لعاطفةٍ القربى من جهةٍ، وأن يحرّر هذا الشعب من أثر الفتنة، ويعيد إليه فرحه وأمنه، من جهةٍ أخرى! ومن هنا كانت هذه القرابة وبالاً على رفعت لا نعمة، حين حالت بينه وبين أن تكمل مواهبه تفتّحها، وأن تأخذ مداها، في ظلّ حافظ الذي يؤثر أن يحيط نفسه بالأتباع الخاملين، ممن ليسوا على غرار رفعت، الذي هو، بحسب المؤلف، أشبه ما يكون بنابليون بونابرت من جوانب كثيرة! لولا أنه لم يكن للأخير أخٌ مثل حافظ، يغلق في وجهه أبواب ما يستحقه من مجد!

تعرّف المؤلف إلى رفعت، عندما كان الأوّل في الأشهر الأولى لخدمته العسكرية، يزور أحد أصدقائه في مجلة «الفرسان»، فكان أن دعاه «القائد» فوراً ليكون ضمن قوّته الضاربة، «سرايا الدفاع»، عند إنهائه دورة الأغرار. وعن السرايا يقول المؤلف المطّلع إنها كانت قطعةً من الجيش ومفصولةً عنه في الوقت نفسه، تتجاور فيها مظاهر النظام والفوضى، كما تتجاور الأسلحة الثقيلة والحديثة والنادرة، التي تحمل رائيها على القول إنه في بلدٍ لا يمكن أن يُقهر، بجانب أحدث ما وصلت إليه صناعة السيارات الفارهة والفخمة في العالم. فإن أربكتك مظاهر التناقض فإن ذلك سيظلّ ضئيلاً أمام عجبك وذهولك من توحّد القلوب على حبّ رفعت والاجتماع على طاعته وفدائه. وإياك -عندما تبحث عن تفسير ذلك- أن تعيده إلى أنه كان يملك ضباطه وجنوده بالقوّة، أو بالكرم والأعطيات، أو بتمييزهم عن باقي قطعات الجيش، أو لأنهم كانوا ينتمون إلى فئةٍ معينةٍ ومكانٍ معين، «كما زعموا»، بل السرّ الذي يحلّ اللغز هو «فن القيادة»!

❖❖❖

على مدى صفحات الكتاب يرتكب المؤلف الكثير من الإنشاء، ويتهرّب من القول إن منهج حافظ الأسد في الحفاظ على شكليات الدولة، ولو بالحدّ الأدنى، يبعث الضيق في نفوس كثيرٍ من عشاق بوعلي شاهين، ورفعت الأسد، وماهر، وسهيل الحسن. ممن يفضّلون الحرية المفتوحة التي تتمتع بها «العصابة» على رتابة «الدولة». وأنهم -لهذا السبب- كانوا المحضن المخبريّ للشبّيحة، قبل الثورة وبعدها.

ما معنى هدم ضريح الشيخ محمّد النبهان؟

عمر الباشا

«أحجار الضريح تؤلمنا» (من تعليق لأحد المريدين على قيام فصائل إسلاميةٍ وسواها بهدم ضريح الشيخ محمد النبهان بحلب، ونقل رفاته إلى مقبرةٍ عامةٍ، ليلة الجمعة 16/1/2015).

تقوم مدرسة الكلتاوية (نسبةً إلى منشئها الأمير طقتمر الكلتاوي، المتوفى سنة 787 هـ) على هضبةٍ تطلّ على باب الحديد، أحد أبواب المدينة القديمة، من داخل السور. وقد عدا عليها الزمن حتى صارت، وقت أن أوى إليها الشيخ محمد النبهان (1900 – 1974) بقصد الخلوة والمجاهدة الصوفية، مسجداً طينياً بسيطاً لا يتسع إلا لعددٍ قليلٍ من المصلّين. وبالتعاون مع مريديه المتكاثرين، جدّد النبهان بناء المدرسة ووسّعها، وأعاد افتتاحها سنة 1964، تحت اسم (دار نهضة العلوم الشرعية).

تميّزت المدرسة بنظامها الصارم في التدريس والسلوك. يقيم الطالب فيها ليل نهار، ويغادرها لزيارة أسرته في عطلةٍ محدّدة. وعليه أن يلتزم بلباسها المشيخيّ التقليدي، المؤلف من الجبّة والعمامة، داخل المدرسة وخارجها. بينما تتكفل المدرسة بكلّ ما يحتاجه من مصاريف معيشة، بالاستناد إلى جمعيةٍ خيريةٍ أسّسها النبهان، الذي لم يفتقر يوماً إلى التجار والميسورين من بين مريديه، قبل تأميم نظام حافظ الأسد للجمعية عام 1984.

تستقبل المدرسة الطلاب الحائزين على الشهادة الابتدائية، وتدرّسهم لستّ سنواتٍ منهاجاً شرعياً منضبطاً حرفياً بالتقليدية السنّية، مع ملامح صوفيةٍ واضحةٍ في التربية وفي يوميات المدرسة الداخلية، بالإضافة إلى نزرٍ يسيرٍ من «العلوم الكونية»، كالجغرافيا والرياضيات واللغة الإنكليزية. ونتيجة عدم التزامها بالمنهاج الرسميّ المعتمد للمدارس الشرعية، ورغبة نظام البعث في التضييق على هذا النوع من التعليم؛ لم تحز المدرسة الاعتراف الرسميّ بشهادتها. ولكنها تدبّرت أمر إتمام من يرغب من خريجيها دراسته في الأزهر.

ويقول مؤرّخو النبهان ومدرسته إنه رغب –منذ إنشائها– في تقديم أبناء الريف، وهو من هجر والدُه قرية «الصفّة» شرق حلب، وسكن حيّ باب النيرب الناشئ وقتها عن نزوح عشائر إلى أطراف المدينة. وكان دافع الشيخ هو «حاجة الريف الماسّة للعلماء والدعاة». وصار ذلك طابعاً ثابتاً للمدرسة حتى إغلاق أبوابها قسراً أثناء الثورة، بسبب القصف وخطورة الاستمرار على حياة الطلاب والمدرّسين.

وإذا كانت الكلتاوية قد تقاسمت ساحة التعليم الشرعيّ المنظّم في حلب مع مدرستين هما الخسروفية (الثانوية الشرعية الرسمية) والشعبانية (لا تحظى بالاعتراف الحكوميّ أيضاً)؛ فإن فوارق اجتماعيةً واقتصاديةً ومناطقيةً وسلوكيةً وسمت طلاب كلٍّ من هذه المدارس. فقد كانت الخسروفية مقصد الحلبيين على العموم، نتيجة عراقتها النسبية وتخريجها لأكثر شيوخ حلب شهرةً في القرن العشرين. ولم يكن السلك الدينيّ مصير أو هدف قسم يزداد باطّرادٍ من طلابها، بقدر ما كان تحصيل قدرٍ من العلوم الشرعية والعودة إلى العمل في تجارة العائلة، أو متابعة الدراسة في كلية الشريعة والتحوّل إلى «أفندية» ببدلاتٍ حديثة، وربما متابعة الدراسة للحصول على الدكتوراه وضمان «الدين والدنيا». أما طلاّب الشعبانية فكانوا خليطاً من أبناء المدينة والمقيمين في أطرافها من عائلاتٍ ريفيةٍ متوطنة. وتميّز خريجوها بشيءٍ من اللطف والانفتاح على المجتمع، لا سيما أنهم لم يكونوا ملزمين باللباس الشرعيّ «الثقيل»، ولا بالإقامة الدائمة والمغلقة، أثناء دراستهم.

بينما قدم معظم طلاب الكلتاوية من الريف مباشرةً، وعادوا إليه أحياناً كثيرة. وتعرّضوا لقولبةٍ صارمةٍ، وهم في العمر بين 12 و18 سنة، قامت على الشدّة ومفاهيم قيادة الناس والاستعلاء عليهم. ونتيجة هذه الأسباب مجتمعة، وطيلة ما يقرب من أربعين عاماً من عمل المدرسة، فقد خرّجت القسم الأكبر من المشايخ في الريف والمدينة، من خطباء وأئمةٍ ومدرّسين دينيين عاليي الصوت متصدّرين على مقعد الوجاهة الاجتماعية للشيخ.

وإذا كان هؤلاء، بما يتمتع به كلٌّ منهم من ثقلٍ محليٍّ، ولا سيما في الريف الشرقيّ المشتعل ثورةً، وفي سواه من الأرياف الثائرة هي الأخرى، وفي الأحياء المحرّرة من المدينة نفسها، لم يستطيعوا فعل شيءٍ أمام هدم مقدّسهم المباشر؛ قبر «سيدنا» الذي يعتقدون بولايته ويتبرّكون بزيارته، فلا بدّ أننا نشهد ذروةً من ذرى التحوّل المباغت للإسلام السّنّي السوريّ إلى السلفية، خاصّةً وأنّ جميع من تحدّثوا في الفيديو الذي بثته الفصائل المشاركة تكلموا بلهجةٍ سورية، وأن هذه الفصائل لم تكن جبهة النصرة وجبهة أنصار الدين فقط، بل أيضاً الجبهة الشامية، وهي أكبر تجمّعٍ للمقاتلين المحليين ومن الجيش الحرّ، والمحكمة الشرعية بحلب وريفها.

صورةٌ للهدم نشرتها جبهة أنصار الدين

الجرّاح البريطانيّ ديفيد نوت: خداعُ الموت يمنحني النشوة

إليزابيث غريس/ دايلي تلغراف
ترجمة مأمون حلبي

الهياج هو آخر عاطفةٍ يمكن لها أن تقترن بالجرّاح البريطانيّ صاحب الأعصاب الفولاذية. فأثناء الفترات التي أمضاها في مناطق الحروب شاهد كلّ شيء. يقوم نوت بإجراء عملياته بسرعةٍ وسط ظروفٍ بدائيةٍ ونقصٍ دائم في التجهيزات. في بعض المشافي الميدانيّة يشكّل صوت ارتطام القنابل خلفيةً بعيدةً عن انتباهه. إنه غائصٌ في الدم. أثناء الفترة الأخيرة التي قضاها في مدينة حلب، حملوا إليه فتىً قُطعت ساقاه وسُلخ عجزاه، وكانت على وجهه لطخٌ بيضاء غير مفهومة. بعد ذلك تم إدخال أخته ورأسها مهشّم. اللطخ البيضاء على وجه الفتى كانت من دماغ أخته. هذه الصورة، كما يقول نوت، تجسّد هول الأمر برمته.

أصعب ما في الأمر هو العودة إلى الحياة العادية. يقول نوت: "ثمة نوعٌ من الهياج لا يمكنك السيطرة عليه. لديك تلك الجمرة التي تبدأ بالاشتعال وتنمو متحوّلةً إلى مرجلٍ يهدر في الرأس. التوتر الذي يلي التجربة القاسية يجعل المرء يعاني أحياناً من اضطرابٍ عصبيّ. وذلك هو أحد الأسباب التي تفسّر دخول جنودٍ قاتلوا في العراق وأفغانستان إلى السجن؛ إنهم لا يستطيعون ضبط هياجهم. أعاني من ذات المشكلة لكنني أفهمها وأعرف أنني لست على ما يرام". حتى مع وجود مساندةٍ نفسية، يستغرق الأمر منه شهوراً ليتكيّف مع الحياة العادية. لقد كانت العودة من حلب أسوأ تجربةٍ عاناها، لا فقط بالنسبة إليه، ولكن أيضاً لكلّ من كان حوله.

"لديّ خطيبة، ولقد عانت فترةً قاسية". خلال عشرين عاماً من العمل الإنسانيّ، وفي مناطق النزاعات، كان نوت يدّعي دائماً أنها مزيةٌ إيجابيةٌ، لا بل ضرورةٌ، أن لا تكون لدى المرء مسؤولياتٌ عائلية. "كان من الممكن أن أختار الزواج"، قال ذلك العام الماضي، "لكني لم أكن أريد ذلك. ليست لي زوجةٌ ولا أطفال، ولا أمٌّ أو أبٌ يقلقان بشأني". في حزيران تغيّر الأمر، عندما قابل جراحُ الأوعية الشهير إيلي جوب، وهي محللةٌ لشؤون الشرق الأوسط، في مناسبةٍ خيرية.

لقد حصل انجذابٌ فوريّ. "أبداً لم أكن أظن أن هذا قد يحصل، ولا في مليون سنة. كان يبدو أمر مستحيلاً". نوت في السادسة والخمسين من العمر، لكن وجود امرأةٍ في حياته يبدو رائعاً، وهما سيتزوّجان هذا السبت. إنهما يريدان أن يسافرا معاً، وينجبا أطفالاً ويبنيا مؤسسةً لتدريب الأطباء وتبادل خبرات أولئك الذين خدموا في مناطق النزاعات في شتى أنحاء العالم. نوت، في الوقت الحاضر، على مفترق طرقٍ شخصيّ: "ربما الآن هو الوقت المناسب لأركّز على التعليم. لقائي إيلي ورغبتي أن أكون معها ربما جعلاني أفكر أن أسلك طريقاً مختلفاً. من الواضح أنها تظنّ أنه قد حان الوقت لأتوقف الآن. قلت لها إن في داخلي بذرة رعاية الآخرين قبل نفسي، هذه البذرة التي انفتحت وترفض الانغلاق. أظن أنها تتفهمني. وقد قالت إنها لا تريدني أن أذهب، لكن إن كان عليّ الذهاب فإنها لا تستطيع إيقافي".

عام 1993 ذهب نوت إلى البوسنة مع منظمة (أطباء بلا حدود)، وعمل في المشفى الحكوميّ. "استمتعتُ بكلّ دقيقةٍ من وقتي. كوني قادراً على مساعدة الناس الذين كانوا يحتاجون إلى مساعدتي، والذين لولا وجودي لما حصلوا على هذه المساعدة، كان أمراً رائعاً". منذ ذلك الوقت قام نوت بعمل إنسانيٍّ تطوعيٍّ في أفغانستان والعراق وسيراليون والبوسنة وليبيا وغزّة وسوريا. لما يقوم بذلك؟ ليس بوسع كلّ شخص أن يجيب عن هذا السؤال بنفس الصدق الذي يجيب به نوت. "بغضّ النظر عن الجانب الإيثاريّ، والرغبة في مساعدة اليائسين، هناك نشوةٌ محدّدةٌ أحصل عليها من القيام بهذا الأمر. عندما تذهب بعيداً وتقترب من الموت وتخدعه فإنك تحصل على نشوةٍ مذهلة. الصحافيون في مناطق الحروب يشعرون بهذا أيضاً. إنها حالةٌ من الوجد تشبه عقاراً مخدراً".

هذه المرّة، في سوريا، 70% من الإصابات كانوا أطفالاً. قُصفت حلب بالبراميل المتفجرة، تقريباً مثل ستالينغراد. حوّاماتٌ تطير على ارتفاع 6 كم تلقي حاوياتٍ بزنة 500 كغ من مادة ت. ن. ت على أحياء المدينة. وعندما غادر نوت سوريا، عام 2013، طرق أبواب الوزراء ليناقش قضية الممرّات الإنسانية، وليقدّم الدليل على فظاعات نظام الأسد. في إحدى حفلات الاستقبال غيّر أحد الوزراء الموضوع إلى مرض إيبولا، وخرج بعد وقتٍ قصير. "لا أحد استمع إليّ. لقد شجّعوني فقط".

قصة عاشقَين تحوّلا إلى مجاهدَين في صفوف داعش

إعداد: بكر صدقي
(عن تقريرٍ صحفيٍّ في جريدة "حرييت" التركية)

في السادس من كانون الثاني 2015، أي قبل يوم واحدٍ من هجمات باريس الإرهابية، قامت امرأةٌ منقبةٌ ومجلببةٌ بالهجوم على مركزٍ للشرطة التركية في ساحة السلطان أحمد في قلب إسطنبول. قُتل شرطيٌّ في الحادث، وقُتلت المرأة التي اتضح أنها داغستانية الأصل وتدعى ديانا رمضانوفا.

وفقاً لتحقيق يوميّة "حرييت"، المستند إلى المعلومات التي توافرت لأجهزة الأمن التركية، كانت الانتحارية متزوجةً من جهاديٍّ قُتل، في معارك كوباني، في صفوف تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش). تمّ التعارف بين رمضانوفا وزوجها النرويجيّ، أبو علويتش أدلبيجيف، الذي يتحدّر من أصلٍ شيشانيٍّ، عام 2012، عبر شبكات التواصل الاجتماعيّ. وهو العام نفسه الذي اعتنق فيه أدلبيجيف الأفكار المتشدّدة، ثم بدأ تعاطفه مع تنظيم الدولة.

العلاقة، التي بدأت كصداقةٍ، سرعان ما تحوّلت إلى حبٍّ ثم زواجٍ عرفيٍّ. وتغيّرت حياة رمضانوفا بصورةٍ جذرية. فبعدما أمضى الزوجان في إسطنبول ثلاثة أشهر، ربما كشهر عسل، انتقلا إلى سورية بطرقٍ غير شرعية، حيث التحقا بصفوف داعش. بعد مقتل زوجها، اجتازت رمضانوفا الحدود مرّةً أخرى إلى تركيا. من مدينة غازي عنتاب استأجرت سيارة تاكسي أوصلتها إلى إسطنبول. ولم يُعرف بعدُ ما إذا كانت قد التقت بأحدٍ في غازي عنتاب أو إسطنبول قبل تنفيذ ما جاءت من أجله.

استقرّت أسرة أدلبيجيف، الشيشانية الأصل، عام 2002، في مدينة فريدريكستاد النرويجية، وكان عمر أبو علويتش حينذاك 12 عاماً. استمرّت حياة الفتى وأسرته هناك بصورةٍ طبيعيةٍ حتى عام 2012. ثم تغيّر، في الثانية والعشرين من عمره، حين بدأ يتبنّى الأفكار المتشدّدة.

في أيار 2014 دخلت رمضانوفا من روسيا إلى تركيا بفيزا سياحيةٍ، في حين لم يتمّ العثور على قيود دخول أدلبيجيف، ومن المحتمل أنه دخل بطريقةٍ غير مشروعة. كما لم يُعرف أين عُقد قران الزوجين، أفي إسطنبول أم في سوريا؟ ولا عُرفت أية تفاصيل عن الأشهر التي أمضياها في إسطنبول. حصلت الأجهزة الأمنية على صورٍ تفيد بأنهما تجوّلا في مناطق السلطان أحمد وفاتح وأورتاكوي.

وفقاً لمعلومات أجهزة الاستخبارات التركية والنرويجية، اجتاز الزوجان الحدود إلى سوريا، في تموز، حيث انضمّا إلى تنظيم الدولة باسمين مستعارين هما إدريس وسميرة. في غضون ذلك كانت تحرّياتٌ أمنيةٌ تجري في النرويج حول الأنشطة الإرهابية لأدلبيجيف وعددٍ من أصحابه، صدر بنتيجتها قرارٌ قضائيٌّ بتجميد الأرصدة المصرفية له ولشخصٍ آخر يدعى عبد الحكيم سانشيز هامر، بدعوى وجود شبهاتٍ قويةٍ حول تورّطهما في أنشطةٍ إرهابية. ولا يُعرف ما إذا كان الأنتربول قد لاحق أدلبيجيف أثناء الأشهر التي أمضاها في إسطنبول.

قتل أدلبيجيف في كانون الأول 2014. وفي 26 من الشهر نفسه اجتازت زوجته الحدود عائدةً إلى إسطنبول، وكانت حاملاً بطفلٍ في شهره الثاني. أمضت أحد عشر يوماً في أحد الفنادق إلى حين تنفيذها الهجوم. ولم تصل الاستخبارات التركية إلى جوابٍ عن سؤال: من أين حصلت على القنبلتين، هل أحضرتهما معها من سورية، أم حصلت عليهما داخل الأراضي التركية؟ المعروف هو أنها تجوّلت في الساحة وقرب جامع السلطان أحمد نحو ساعةٍ ونصف قبل الهجوم. لم تنفجر القنبلة الأولى بعد سحب مسمار الأمان، فأصيبت رمضانوفا بطلقٍ ناريٍّ من عناصر المركز الذين انتبهوا إليها. لكنها استطاعت سحب مسمار أمان القنبلة الثانية المميتة.

كانت ديانا رمضانوفا، قبل زواجها من أدلبيجيف، فتاةً حاسرة الرأس ترتدي ثياباً عصريةً ومتخففة، كما تظهر في صورٍ لها مع أصدقائها وأخرى منفردة. ثم تغيّر نمط حياتها تماماً بعد ارتباطها بأدلبيجيف، فظهرت بالجلباب الأسود والنقاب في كثيرٍ من الصور مع زوجها، سواءً في إسطنبول أم في سوريا.

أما أبو علويتش فكان بطلاً في رياضة رفع الأثقال، التي ورث الاهتمام بها عن أبيه. وقد حصل على الميدالية الذهبية في مسابقة العام 2008 لهذه اللعبة. وكان أبوه من لاعبي رفع الأثقال البارزين على مستوى بلده الأصليّ الشيشان، في عقدي السبعينات والثمانينات.

الربيعة.. مسلسل كشف الفساد على الفيسبوك

أغلق الحلاق الشابّ لؤي عباس شمالي صالونه في قرية الربيعة 18- كم غرب حماة- والتحق بالجيش تلبيةً لواجب الاحتياط. قاتل في حلب وأصيب هناك، ثم عاود الكرّة بعد شفائه. تلك قصةٌ حقيقيةٌ من الربيعة، يستدلّ بها ناشطٌ متخصّصٌ بمكافحة الفساد في هذه القرية على أنه ينظر إلى النصف الملآن للكأس، بالإضافة إلى الفارغ أيضاً. وأنه -بخلاف ما يقول منتقدوه- لا يريد التشهير بالضيعة بل بالفاسدين فيها فقط، وأولهم ضرار ابن عضو مجلس الشعب ياسر باكير. ولا يبدو أن مكافح الفساد يهتمّ كثيراً بتاريخ هذا الأب، الذي تكشف شهاداتٌ مكتوبةٌ وشفويةٌ أنه أحد سفاحي سجن تدمر قبل 35 عاماً، في المذبحة ذائعة الصيت، حين كان ضابطاً برتبة ملازم أوّل في سرايا الدفاع. مرّت السنوات سريعاً وتحوّل الملازم أوّل العنيف إلى شيخ وديع يواسي أمهات القتلى، بوصفه عضواً في مجلس الشعب وركناً بارزاً في جمعية البستان. فيما يتهم مطاردُ الفساد ابنَه ضرار بأنه يترأس عصابةً تبيع الذخيرة لمسلحي الضيع القريبة الكفار.

ومع كل حلقةٍ من مسلسل كشف الحقائق تثار عاصفةٌ من الجدل والانقسام، فيناشد بعضهم الطرفين أن يكفّا عن التشاتم، ويضعا لهذه الفضائح -التي تسيء للضيعة- حدّاً. ويصرّ مؤيدو "المكافح" على مزيدٍ من الحقائق، حتى يعلم الناس من هم تجّار الدم في الربيعة "منبع الشهداء". فكل ضيعةٍ، بما فيها "القرداحة اللي هيّ القرداحة، فيّا فاسدين"؛ يدافع كاشف الحقائق عن نفسه في وجه من يتهمّه "ببهدلة الربيعة". مؤكداً أنه يخصّ الخائن فقط، ولا ذنب لعائلته. وضرار باكير لا يسيء إلا لنفسه. وكذلك بائع وحدات السيرياتيل ومتطوّع الدفاع الوطنيّ محمود نداف، الذي حوّل محلّ الاتصالات إلى وكر خيانةٍ وبيع ذخيرةٍ للإرهابيين، مشغّلاً معه أتباعاً تافهين مثل أحمد ديب الخائن ومصّاص الدماء هو الآخر. وعلى صفحات الفيسبوك يناظر شقيقُ أحمد ديب مكافحَ الفساد، مطالباً إياه أولاً أن يعرّف عن اسمه الحقيقيّ إن كان رجلاً بالفعل، قبل أن يتعرّض للشرفاء الذين يحملون أرواحهم على أكفّهم. يسخر المكافح من حكاية الكفّ التي تعود كلّ "يومين ثلاثة محمّلةً بصناديق الذخيرة المسروقة من مستودعات الجيش"، ليردّ الشقيق بأن كلّ الجنود يبيعون بعض الذخيرة المسلّمة إليهم: "إزا خبّى العسكري الفقير الجوعان 100 طلقة، وباعهن خرجية لياكل،

بيتسمّى خاين؟!". فبناءً على قانون مكافح الفساد سيتحوّل جنود الجيش السوريّ كلهم إلى خونة! كما يقول الشقيق ساخراً من قانون المكافح. ويعلن، من جهته، قاعدته الخاصّة بسرقة الذخيرة: "أفينا نقول عن كلّ عسكري مياخد حقه من الدولة إنه حرامي، وأفينا نقول إنه خاين، بشرط أبيضرّ ولاد ضيعته".

وفي كلّ سجالٍ "قانونيٍّ" حول تمييز اللص المضطرّ عن الخائن الذي يثري ثراءً فاحشاً، يتذكّر الجميع أن قائمة "شهدا الضيعة تزداد"، وتقترب من 400 من أصل 10 آلافٍ، هم كلّ سكانها.

مجلة عين المدينة | نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة عن رأي المجلة بالضرورة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

فيس بوك facebook.com/3aynAlmadina
تويتر twiter.com/3aynAlmadina
www.3ayn-almadina.com | info@3ayn-almadina.com

في ذكرى مجزرة حماة...

من كتاب: أحداث مدينة حماة في صور – شباط 1982